الثوب فى اللهجة المصرية التوب

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس بالمعنى المراد .

ونحن نعلم ان كلمة ثوب تعني منبوسا بصورة عامة ، ولكن له فى هذا اليوم معنى خاصا فى مصر. فكلمة ثوب ، حسب تقرير ليين فى كتابه المصريون المحدثون ، ج 1 ، ص61) تشير الى نفس الملبوس الذى تشير اليه كلمة سبلة، ومعنى ذلك رداء واسع فضفاض عرض ردنيه يساوي على وجه التقريب طول الجلباب نفسه ، وهو مصنوع من الحرير ولونه لون القرنفل فى معظم الاحوال او لونه وردي او بنفسجي وترتدي النساء هذا الرداء حين يردن مغادرة منازلهن ليؤلفن التزييرة . ومعنى ذلك الحلة التى يضعنها فوق اردیتهن الاخرى . وبوسعنا رؤية هيئة هذه الكسوة فى كتاب لين (الصفحة 64 ، الصورة اليسرى) . والنساء غالبا ما يلففن رؤوسهن باردان هذا الكساء ، اما لتسوية هندامهن واما لاحلال هذه الكسوة محل الطرحة . (راجع الصورة اليمنى فى كتاب لين ، ص 64 و 65 و 66) .

ان كلمة توب او ثوب لم تكتسب هذه او تلك هذا المعنى الا حديثا . فان الكونت دي شابرول لا يسمى الكساء الواسع الفضفاض للنساء الا بكلمة سبلة : ولم اقع ابدا على كلمة ثوب بهذا المعنى لدى المؤلفين العرب . حقيقة اني زعمت مواجهة كلمة ثوب فى بضع عبارات من كتاب الف ليلة وليلة ولكن تمحيصا اعمق جعلني اعترف بأن رايي لم يكن قائما على اساس .

ان للطوارق قميصا من نسيج القطن غاية فى السعة والفضفضة ، وهو فى الاغلب الاعم ازرق او ابيض ، وله ردنان هائلتان . وهم يسمون هذا القميص Tobe او Tob . راجع هونمان فى كتابه (مذكرات حول رحلة من القاهرة الى مرزوق ، ص 69) . وراجع كذلك النقيب ليون فى كتابه (اسفار فى الشمال الافريقي ، ص 110) . وانظر اخيرا دنهام وكلابرتون فى كتابيهما (اسفار ، ج 1 ، ص 251) . ان كلمة Tob او كلمة Tobe ليست على وجه الاحتمال الا الكلمة العربية (الثوب) او (التوب) .

الجبة وفى اللهجة المصرية الجبة (بالكسر)

اننا واجدون فى صحاح البخاري (ج 2 ، مخ 356 ، ورقة 167) بابين عنوان الاول منهما : (باب من لبس جبة ضيقة الكمين فى السفر) : « انطلق النبي صلى الله عليه وسلم لحاجته ثم اقبل فتلقيته بماء فتوضا وغسل فى جبة شامية فمضمض واستنشق وغسل وجهه فذهب يخرج يديه من كميه فكانا ضيقين ، فأخرج يديه من تحت الجبة فغسلهما ومسح يديه براسه وعلى خفيه » . كما نجد فى باب لبس جبة الصوف فى الغزو .. قال : « كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فى سفر فقال: امعك ماء ؟ قلت « نعم » فنزل عن راحلته فمشى حتى توارى عني فى سواد الليل . ثم جاء فافرغت عليه الاداوة فغسل وجهه ويديه وعليه جبة من صوف فلم يستطع ان يخرج ذراعيه منها حتى اخرجهما من اسفل الجبة فغسل ذراعيه ثم مسح براسه . ثم اهويت عليه لانزع خفيه فقال : « دعهما فاني ادخلتهما طاهرتين » فمسح عليهما – والحديث الاخير يرويه عروة بن المغيرة .

وقد ورد فى مجمع الانهر (ط القسطنطينية ، ج 2 ، ص 258) : « روي ان النبي صلى الله عليه وسلم لبس جبة مكفوفة بالحرير ».

ان هذه العبارات ترقى الى العهود الاسلامية الاولى . ولكن قبل ان نضرب فى شعاب هذا البحث لا يبدو من العقم ملاحظة ان الجبة من حيث هيئتها تشابه قليلا او كثيرا اردیتنا الليلية Nos robes de chambre ولكن طراز العصر السائد قد غير من طولها ومن نوع نسيجها – الخ . ولنبدأ بسورية . ولما كان كوتوفيك قد قال فى كتابه (الرحلة ، ص 485) فى معرض حديثه عن ثياب الشرقيين بصورة عامة : « ان الثوب القطني يلبسه بعضهم مسبلا حتى الاقدام – ويرتديه بعضهم مسبلا حتى منتصف الساقين – فى حين انه من

الجهة الخلفية اقصر قليلا من جهته الامامية ـ فاننا لا يخالجنا اي ريب فى ان العبارة التالية للمؤلف روولف تمس اللباس الذى نتحدث عنه الآن . فان هذا الرحالة يقرر ـ فى معرض حديثه عن سكان طرابلس الشرق فى كتابه (وصف حقيقي للرحلات ، ص 49) : « وتحت هذا القباء يلبسون ايضا ثوبا آخر ـ مصنوعا من الجوخ ـ هو فى العادة أزرق اللون ـ لاسيما لدى الجنود ـ وهو اقصر من الجهة الامامية منه من الجهة الخلفية ـ وله ردنان واسعتان ـ على انه محروم من الياقة » . ويقول كوتوفيك فى (كتابه القيم المذكور) انه (Collariis caret) وارى ان عبارة داندیني التالية فى كتابه (رحلة من جبل لبنان ، ص 40) وهو يتكلم ايضا عن سكان طرابلس الشرق تخص الجبة كذلك . قال : « أن لهم سترتين . السترة التحتانية وهي الجلباب مع حزام » . (اما السترة الفوقانية فهي العباءة) . ويذكر ريشتر فى كتابه (رحلة الى الشرق الاوسط ، ص 123) من بين الالبسة التى اقتناها ـ للمضي من بيروت الى قلب سورية « جبة حمراء Dshûbbeh rouge » وهي عبارة عن (ردنكوت Redingote بلا بطانة) .

اما فى مصر فقد كانت الجبة مستعملة كذلك ـ وما برح المصريون يرتدون هذا اللباس حتى فى ايامنا هذه . فنحن نقرأ لدى النويري (تاريخ مصر، مخ 2 ، ص 32) : « وكانت الخلعة جبة عتابي (1) حمراء وفوقها فرجية » . كما نقرأ لدى ابن اياس (تاريخ مصر ، مخ 367 ، ص 281) : « وكان السلطان لابسا جبة صوف بيضاء . »

وهذه الكلمات نفسها موجودة بعد ذلك (ص 288) . وفى كتاب الف ليلة وليلة (ط هابيخت، ج 3 ، ص 139) نرى وصف جبة صياد فقير على هذه الصورة : « جبة فيها مائة رقعة من الصوف الخشن وجيش من القمل المذنب » . لا ريب ان الموضوع هو موضوع الجبة فى العبارة التالية للرحالة هيلفريش فى كتابه المعنون (تقرير واقعي مختصر عن رحلات ، ص 393) فان هذا الجوابة يعبر عن الموضوع بهذه الكلمات : « يرتدي هؤلاء القوم بدلا من سترة القرون الوسطى (Eines Wammes) سترة طويلة (Leibrock) اقصر قليلا من الجهة الامامية منها من الجهة الخلفية ـ وهي مصنوعة من الجوخ الاحمر او الازرق او السنجابي » . ـ

ويصف الكونت دي شابرّول فى كتابه (وصف، مصر، ج 18، ص 103) على هذا المنوال الجبة فيقول، « الجبة هي رداء آخر مفتوح كذلك ـ ويوضع فوق الرداء الاول وهو القفطان . ردنا الجبة قصيران بالنسبة لردني القفطان . وتبطن الجبة فى الشتاء ببطانة من الفرو » . ونقرأ فى كتاب لين (المصريون المحدثون ، ج 1 ص 41) كما يقرأ فى ترجمته لالف ليلة وليلة (ج 1 ، ص 485) : « ان الرداء الاعتيادي الفوقاني هو قباء طويل من الجوخ المنون كيفما اتفق . ويسمي الاتراك هذا القباء الجبة Jubbeh ويسميه المصريون Gibbeh . ولا تصل ردنا هذا القباء حتى المعصم » . ويسمى لين الجبة ثوبا فوقانيا بالنسبة للقفطان الذى يلبس تحت الجبة Djibbah . ومع ذلك فالقوم يرتدون فوق الجبة اما بنيشا واما فرجية واما عباءة . وبوسعنا رؤية هيئة الجبة فى كتاب (المصريون المحدثون، ج 1، ص 40 ، الفرد الاوسط) . وعلي قبل ان اغادر مصر ان الاحظ كذلك ان جبة رهبان القديس انطوان ـ كانت تختلف اختلافا جوهريا عن الجبة المصرية من حيث انها لم تكن مفتوحة من الجهة الامامية . ويعد (فانسليب) بين ثياب هؤلاء الرهبان جبة او قباء من الصوف الادكن . وهذه الكسوة مخيطة خياطة غليظة عدا كونها غير مفتوحة من الجهة الامامية » . راجع (قصة جديدة لرحلة الى مصر ـ ص 307) . وكانت الجبة فى القديم مستعملة فى مملكة مراكش ـ ذلك لان مؤلف تاريخ المرابطين والموحدين فى كتابه الموسوم بالحلل الموشية (مخ 24 ، ص 9) يعد بين الهدايا الممنوحة من قبل الامير يوسف بن تاشفين لعمه ابي بكر بن عمر خمسين جبة اشكرلاط ملف

(1) راجع حول كلمة عتابي ـ كاترمير (تاريخ السلاطين المماليك ، ج 1 ، ق 1 ، ص 241 ، و ج 2 ، ق 1 ، ص 70) لترى ان هذا القماش قد استعار اسمه من اسم شارع فى بغداد ـ كما لاحظ ذلك دي كايانكوس فى كتابه (تاريخ السلالات المحمدية فى الاندلس ، ج 1 ، ص 358) .

رفيع (1) ولكنني اكاد اجزم ان هذا اللباس لم يكن يرتديه عرب هذا القطر – منذ القرن الخامس عشر حتى ايامنا هذه . وما زالت الجبة مستعملة لدى نساء مدينة الجزائر ومدينة تونس . (راجع بانتته – في كتابه رحلة . ج 2 ، ص 10 من الترجمة الهولندية) .

وكانت الجبة مستعملة في الاندلس – واليكم ما نقرا لدى المقري ، نفح الطيب – مخ غوتا – ص 373) : « ورأى ان يلبسوا في الفصل الذي بين الحر والبرد المسمى عندهم الربيع من مصبغهم جباب الخز والملحم والمحرر » . هذا رأي الموسيقار الشهير زرياب – الذي قدم الى الاندلس في ايام حكم عبد الرحمن الثاني (1) .

ويقول بيير مارتير في قصة سفارته الى مصر – خلال عام 1501 – الموجهة الى فريناند وايزابيلا (سفارة بابلية . ص 104) : « ان ثياب القوم الفوقانية هنا تختلف قليلا عن ثياب غرناطييكم التي يسمونها الجيوبة ويسميها الاسبان Marlotas مرلوطة » .

وتستعمل الجبة كذلك في الجزيرة . راجع بكنكهام (اسفار في بلاد ما بين النهرين ، ج 6 ، ص 343) الذي كتبها جبه Jubba .

وتلبس الجبة في مكة المكرمة حتى ايامنا هذه – اذ ترتدى فوق البدن – وهي مصنوعة من الجوخ الخفيف – او من نسيج الحرير الهندي . وفي ايام الحر اللاهبة لايرتديها الناس مطلقا – ولكنهم يطرحونها على الاكتاف . راجع بركهارت في كتابه (اسفار في الجزيرة العربية . ص 335 و 336 . ج 1) وفي المدينة المنورة حيث يرتدي الفقراء ايضا هذا الرداء نرى الجبة مصنوعة من الجوخ . (المرجع السابق ، ج 2 ، ص 242) .

لم نتحدث حتى هذه اللحظة الا عن جبة الرجال – فيترتب علينا الآن ان نمنح بعض التفصيلات جبة النساء . يقول لين عن اليلك في كتابه (المصريون المحدثون ، ج 1 ، ص 58): « ان النساء المترفهات يرتدين جبة من الجوخ ومن المخمل او من الحرير – وهي عادة مطرزة بالذهب او بالحرير الملون – والفرق الرئيسي بين Djobbah ou djibbah

---

(1) ان كلمة ملف التي ربما كان يلفظها اللافظون (ملف) والتي تلفظ هذا اليوم (ملف) تشير في بلاد البربر الى نفس النوع من هذا القماش . راجع هوست (اخبار من مراكش – ص 269) فانه يقول ان (ملف انجليس) الجوخ الانكليزي – و (ملف فلمينك) الجوخ الفلمنكي (الهولندي) – ويترجم دونباي في كتابه (النحو المغربي العربي . ص83) كلمة ملف الى بانوس Pannus وحسب تقرير النقيب ليون في كتابه (اسفار في الشمال الافريقي – ص 315) فان كلمة Melf تعني في سخنة (الجوخ) . ونقرا في رحلة ابن بطوطة (مخ دي كايانكوس ، ص 138) : « وتكسى باللبد او الملف » . وفي مكان آخر (ص 151) : وفيها كرسي كبير مبطن بالملف يجلس فوقه قاضيهم». وبعد ذلك (ص 152) : « فرأيت شيخا حسن الوجه واللمة عليه لباس الرهبان وهو الملف الاسود» (في القسطنطينية) . وفي نفس المرجع : «شقة ملف من عمل البنات وهو اجود انواعه » . وفي موضع آخر (ص 155) : « قد كسيت حيطانها بالملف الملون » . وبعد ذلك (ص 286) : « عليهم جباب الملف الاحمر ». واخيرا (ص 185) : « ستور ملف » . ويترجم بيدرو دي الكالا في كتابه المعنون (مفردات اسبانية عربية) كلمات Orillo de paño بـ (حاشية الملف). ونقرا في الاحاطة لابن الخطيب (مخدى كايانكوس ، ص 32) الخبر التالي : « اشترى ملفا فبلها فانتقصت كما يجرى في ذلك فدرعها بعد البل فانتقصت فطالب بذلك بائع الملف فأخذ يبين له سبب ذلك فلم يفهم .

ويلاحظ ان ابن الخطيب يستعمل هذه الكلمة بصيغة التانيث ويستعملها ابن بطوطة بصيغة التذكير . ومع ذلك فبوسعنا ان نفترض ان المؤلف حين كتب كلمة (ملف) فكر حينئذ باسم لباس لجنس النساء – وعلى سبيل المثال في كلمة جبة . والواقع ان المؤلف نفسه في موضع آخر (المخ . ص 14) قد عد بين الاقمشة التي يرتديها الغرناطيون الملف المصبوغ . وهكذا نرى كلمة ملف في صيغة التذكير .

واليوم تشير كلمة ملف (mleff,) في مالطة الى رداء قرمزي للاطفال . (راجع فاسيلي في كتابه (قوبميس مالطي . مج 509) .

هذه الجبة وبين جبة الرجال ينحصر فى انها ليست غاية فى الاتساع ـ وهذه الحالة بادية على وجه الخصوص فى الجهة الامامية، وطولها طول اليالك » . (ومعنى ذلك انها تلامس الارض او انها اطول من ذلك بنحو عقدتين او ثلاث عقد فهي تكنس اديم الغبراء) . وفى الصورة التى يعرضها لين (ج 1، ص 57) عن جبة المراة ـ نرى ان ردنيها يكادان يبلغان حد المعصمين . ولم يمض زمن طويل على مصر يوم كان ردنا الجبة لا يصلان الى الساعدين ـ كما نستطيع ان نرى ذلك فى اطلس اوليفييه : (اللوحة المرقمة 26 ، رحلة الى الامبراطورية العثمانية ومصر وفارس) وفى (مصور وصف مصر ، ج 2 ، اللوحة 293) .

والواقع اننا نقرا لدى الكونت دي شابرول (وصف مصر ، ج 18 ، ص 113) : الجبة رداء يسبل على ثياب اخرى. وللجبة ردنان غاية فى القصر ـ وهي مبطنة بالفراء شتاء ـ فهي حينئذ تأخذ اسم (وجه فروة) Ouech faroueh

ولعل داندیني فى كتابه (رحلة من جبل لبنان ، ص 48) يتحدث كذلك عن الجبة الخاصة لنساء طرابلس ـ حين يقول ترتدي النساء جبة اقصر من جباب الرجال ـ بدل ما يدعى السبان Spain او العباءة Abb

ويبدو ان جبة المراة فى الازمنة القديمة كانت كذلك اقصر مما هي عليه الآن . راجع (مصور وصف مصر ، ج 2 ، اللوحة 266) . ويتحدث ريشتر فى كتابه (رحلة الى الشرق الاوسط ، ص 212) عن جبة نساء بدو سورية (Dshübbeh) التى لها لون الشوكولاته عادة » . ويضيف قائلا : « ان هذا اللون عزيز على قلوب الرجال ايضا » . اما فى مصر فيستبان ان السيدات كن يرتدين ايضا جبة عصر مارمول ـ لاننى ارى ان العبارة التالية لهذا المؤلف تشير الى هذا اللباس موضوع البحث (وصف افريقيا ، ج 3 ، ص 112) : « ان لهذه الصايات Las sayas هيئة الجباب التركية» . (Aljubas turques) وارى ان المؤلف يضيف ما يضيف لتمييزهن من الجباب الفرناطية المسبلة حتى الاقدام ـ والمشغولة من مختلف انواع الحرير ـ او المنسوجة من الذهب او المكفتة به . وترتدي النساء كذلك الجوخ ذا الاكمام الضيقة المطرزة باسراف بالذهب والحرير » .

وفى مصوع يلفظ الناس كلمة جبة كلفظ اهالي صر لها . وهذا اللباس يصنع فيها من الجوخ الملون (روبل ـ رحلة الى الحبشة ـ ج 1 ، ص 200) . والجبة كانت شائعة الاستعمال بين التركمان . فنحن نقرا لدى فريزر فى كتابه (رحلة الى خراسان ـ ص 266) : « عندما يشتد البرد ترتدي النساء فوق ما يرتدين جبابا او اردية شبيهة بأردية الرجال ـ وهي مصنوعة من نسيج الحرير او من القطن المخطط». ويضيف الرحالة الى ذلك ملاحظة : « ان الجبة هي رداء واسع فضفاض يلتحف به ـ وهذه الجبة لها ردنان مضغوطان على الرسغين ـ ولكنهما واسعان من الجهة العليا ـ وهي مفتوحة من الجهة الامامية وواسعة سعة مفرطة بحيث يمكن طيها طيات عديدة حول الجسم. كما يمكن طرح هذه الجهة على الاخرى. ولهذه الجبة شبه كبير بالبيرونة الفارسية Le baroonee ولكنها تصنع عادة من الاقمشة الغليظة . والجبة الخراسانية تعمل فى معظم الاحيان من الصوف الاسمر او الضارب الى الحمرة ـ وقد تصنع كذلك من وبر البعير . وهي دثار فاخر جدا ـ ذلك لان حياكتها المحكمة لا تسمح بنفاذ المطر فيها بسهولة ـ وهي تقي صاحبها كثيرا من المطر » . وبعد ذلك نقرا : « اما الفقراء من الدرجة السفلى فى الادقاع فيرتدون جبة قصيرة او قميصا من الصوف » . ونطالع كذلك : « بعضهم يرتدي الزي الوطني التركماني او الازبكي الذى يقتصر على عدة اردية او جباب تعلو الركب قليلا وتربط بحزام ـ والقماش الذى تصنع الجباب منه امشاج من الحرير والقطن مخططة بخطوط زرقاء وارجوانية وحمراء وخضراء ـ والاتراك يحافظون على زيهم الخاص محافظة تامة وذلك بارتدائهم الجباب المنسوجة من وبر البعير فوق البستهم فى معظم الحالات » .

وما تزال الجبة مستعملة لدى من يدعون (Les Guèbres) من اتباع زرادشت ـ يسكنون فى ايران والهند) راجع فريزر ـ المرجع السابق ـ ص 22) كما بقي استعمالها لدى الاوزبكيين فى شيوا Chiwa (المرجع السابق ـ ص 68) . والمصريون يتمثلون بهذا المثل حتى يومنا هذا : « صقل جبته ونقش لحيته » ، حين يريدون ان يقولوا ان فلانا قد استعد للقيام باحدى المهمات . راجع (بركهارت ـ الامثال العربية ـ ص 367) .

ومن هذه الكلمة العربية « جبة » استنبط الاسبان Aljuba, jupa, chupa, jubon

واشتق البرتغاليون Aljuba

واحدث الايطاليون Giuppa و Giuppone

واستحدث الفرنسيون Jupe و Jupon .

الجديل والجديلة

حسب راى الجوهري (ج 2 ، مخ 85 ، ص 188) يدعى الوشاح فى معظم الاحيان جديلا (Ceinture) ويورد اللغوي بهذا الصدد بيتا من الشعر نجده ايضا فى الحماسة (ص 556) ـ حيث يقول التبريزي ان الجديل مصنوع من قطع الجلد ـ وهذه القطع مبرومة على بعضها . وتستعملها الجواري والاماء فقط ـ ولا تستعملها النساء العربيات . اما راى القاموس اطكلكتا ـ ص 1411) فهو ان (الجديلة شبه اتب من ادم يأتزر به الصبيان والحيض) . وانني اشك كل الشك ان كلمة جديلة فى هذا المعنى تعني نوعا من الحزام ـ بل ارى ان الكلمة تشير الى نوع من السراويل .

الجربية

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

ويقص علينا ابن الخطيب فى (الاحاطة ـ دى كايانكوس ـ ورقة 32) عدة امثلة على غفلة العلماء فى مناسبات بسيطة للغاية ـ والمؤلف يروي لنا حكاية تحكى لخياط من تونس : قال لي ابو الحسن حاسم من قرطاجنة (وهو مؤلف المقصورة المشهور) ان المستنصر خلع علي جبة جربية (كذا) من لباسه وتفصيلها ليس من تفصيل اثوابها بشرق الاندلس . واريد ان تحل اكمامها ونصيرها مثل ملابسنا . فقلت : وكيف يكون العمل ؟ فقال : نحل راس الكم ويوضع الضيق بالأعلى والواسع بالطرف . فقلت : وبما يحير الاعلى (1) فانه اذا وضع فى موضع واسع سطت علينا فرج ما عندنا ما يصنع فيها الى ان وقعنا بغيرها . فلم يفهم . فلما يئست منه تركته وانصرفت . ونحن نرى من هذه العبارة ان الجربية تعني نوعا من الجبة ذات الكمين . ومارمول فى كتابه وصف افريقيا (ج 2، ص 40 ، مج 4) يكتب الكلمة حريفيا Gerivia ولكن الوصف الذي يصف به هذا الملبوس لا ينطبق كل الانطباق مع كلمات ابن الخطيب . ويقول فى وصف اقليم غزولا Gezoula فى مملكة مراكش « ان الزي الاعتيادي لهؤلاء الناس ينحصر فى الجربيات Gerivias الصوفية ـ وهي ضيقة لا اكمام لها ولا ياقة ـ وتنسدل حتى الركب ـ ويرتديها الناس فوق الجلد مباشرة » .

وانني اجهل ما اذا كانت كلمة الجربية هي نفس كلمة Gerba التي ذكرها النقيب ليون فى كتابه (رحلات فى شرقي افريقيا ـ ص 6) التي يقول عنها : « انها قفطان ذو كمين قصيرين ـ وان الناس يرتدونها غالبا بدلا من البنيش او البنش » . « Beneish » .

الجريد

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس بالمعنى المراد.

ويقرر النقيب ليون فى كتابه (رحلات الى الشمال الافريقي ، ص 39) ان العرب فى طرابلس الغرب يصنفون البركانات Barracans الى ثلاثة اصناف . فاغلظ هذه الاصناف يدعى Aba والارق هو الجريد Jereed اما اوسط الثلاثة فاسمه خولي Kholi . والجريد يرتدي ايضا فى مرزوق ، من قبل الرجال والنساء على حد سواء (المرجع السابق ، ص 170 ، 171) .

ان كلمة جريد هي بدون شك من اصل عربي . وان فعل جرد يعني الخ .

Scalpsit, abrasit ; mundavit gossipium

ان صيغة جريد بوسعها ان تعبر عن اسم المفعول كصيغة قتيل ، المشتقة من فعل قتل . فافترض اذن

---

(1) يخيل الي وجوب ترجمة الفعل يحير على هذا المنوال الذي الفظ الكلمة به (يحير) . وانظر فى القاموس الصيغة الخامسة لهذا الفعل . ونقرأ فى الكتاب المعنون (اخبار الملوك (مخ 639 ـ ص 131): وامر المعتمد عبد الجليل بن وهبون ان يحير البيت الاول . وارى من المحتم على ان احل فعل يحير محل الفعل (يجير) بحيث يكون المعنى : « امر الامير الشاعر اجازة البيت الاول باضافة بيت ثان » . لعل المؤلف اراد فعل (يجيز) فتوهم فكتبها (يجير) المترجم .
وقع المؤلف فى وهمين . الوهم الاول انه اراد ان يقول بوجوب احلال فعل (يجير) محل الفعل (يحير) فقال العكس . والوهم الثاني انه اراد ان يقول (يجيز) فقال (يجير) المترجم .

وجوب اضمار اسم الموصوف (بركان) وعلى وجه الاحتمال نقول كان يقال فى الماضي (بركان جريد) .

الجـــرز

اننا نقرا لدى الجوهري (ج 1 ، مخ 85 ، ص 388) : الجرز بالكسر لباس من لباس النساء من الوبر ويقال هو الفرو الغليظ . كما نطالع فى القاموس (ط كلكتا ، ص 699) : لباس النساء من الوبر وجلود الشاء .

الجرمـــوق

ارجع كلمة سرموجة .

الجزويـــرة وجمعها الجـــزاور

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس ، ولم اقع عليها الا فى لهجة مالطة .

ولكن توجد هذه الكلمة وجمعها جزاور فى كتاب فاسالي ، فوميس مالطي ، مجم 311) ، وقد لاحظها هذا اللغوي ، وهو مجمع ، كما نعلم ، عربي اصولي صميم ، مصوغ صياغة الاسم الموصوف الرباعي . وهذا ما يجعلنا نشك فى ان كلمة جزويرة هي من اصل عربي ، ومع ذلك فلست مؤمنا بذلك ، ويخيل الي ان كلمة جزويرة ليست الا تحريفا قويا بعض القوة فى الواقع ، للكلمة الايطالية Giustacuore

وايا كانت الحالة ، فان الجزويرة ما زالت ترتدي حتى يومنا هذا من قبل سكان مالطة العرب . وفى كتاب فيسكيه (رحلة الى الشرق ، ص 6) يجري البحث حول الكزويرة ، التنورة المفتوحة من احدى الجهات ، التي ترتديها المالطيات .

وقد تفضل اماري Amari الصقلي المولد فاعلمني ان ما يدعى فى مالطة بالجزويرة هو تنورة صغيرة من النسيج المخطط بخطوط زرق وبيض ولها طيات صغيرات . وهي مفتوحة من احدى الجهات ومشدودة بشرائط صغيرة » .

الجقشيـــر

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

وهي من اصل تركي جقشير ، او على الوجه الاصح جاقشر وتشير الى : بنطلون من الجوخ . ويعبر دارفيو عنها بهذه الكلمات فى كتابه (رحلة من فلسطين صوب الامير الاعظم) فيقول : « تحت هذا القفطان وفوق التبان المنسوج يرتدون Chakchier او بنطلونا من الجوخ الاحمر نهايته من السختيان الاصفر . ويجب ان تكون هذه البنطلونات دائما من اللون الاحمر او الارجواني او البنفسجي والا تكون ابدا من اللون الاخضر ، لان محمدا كان يحب هذا اللون ، وان ذراريه يحملون العمامة الخضراء، والناس يعتقدون بايذائه اذا لبسوا الثياب الملونة باللون الأخضر ولم يكونوا من احفاده . وهم يعتبرون الفرس هراطقة بارتدائهم السراويل والتبابين الخضر » . ويشرح نيبور فى كتابه (رحلة الى الجزيرة العربية ، ج 1 ، ص 152) كلمة Schakschir بانها « سروال احمر واسع الفضفضة » . ويخطىء من يقرا شرشير فى كتاب (وصف مصر ، ج 18 ، ص 107) . ويفسر الكونت شابرول هذه الكلمة بانها : « سروال شتائي من الجوخ » .

الجلبـــاب ـ الجلبـــاب

سلف ان رأينا فى كلمة ازار ـ ان كلمة جلباب قد استعملت فى عبارة للبخاري بوصفها مرادفا لكلمة ازار ـ ونستخلص من ذلك ان الجلباب يشير الى هذه الملحفة الهائلة ـ التي يلتحف بها النساء فى الشرق ـ من الراس الى القدمين ـ حين يردن الخروج من منازلهن. والواقع ان الجوهري (ج 1 ـ مخ 85 ـ ص 35) يفسر كلمة جلباب بملحفة وعلى ذلك فان الملحفة تشير الى ما يشير اليه الازار . ويضيف اللغوي الى ذلك قائلا : قالت امراة من هذيل ترثي قتيلا :

تمشي النسور اليه وهي لاهية
مشي العذارى عليهن الجلابيب

ولعل ابن خاقان كان ينظر الى معنى الكلمة نفسه حين قال (لدى هوكفليت ـ مقتطفات من كتاب ـ مختلفين حول اسرة الافطيين المالكة والشاعر ابن عبدون ـ ص 47) :

وغدا مصرعهم من نجيمهم وارس الجلباب

وتشير هذه الكلمة ـ حسبما ورد فى القاموس (ط كلكتا ـ ص 58) الى قميص ـ والى ثوب واسع للمرا دون الملحفة ـ فهو فى هذه الحالة نفس الثوب الذ يدعى هذا اليوم فى مصر سبلة او (توب) ـ او هو اخيرا الخمار نفسه .

وعلى كل حال فقد كان بشير قديما الى ثـــوب ترتديه النساء . ويخيل الي ان هذه الكلمة قد اكتسبت في الازمة المتاخرة مفهوما خاص مختلفا في المغرب . اذ يقرر شو Shaw في كتابه : (رحلة الى بلاد البربر والشرق ، ج 1 ، ص 322

« Reizen door Barbarijen en het Ooste

ان كلمة الـ Jillebba تشيـــر الى نوع قمصلة Camisole بكمين او بدون كمين — ولكنها تختلف قليلا عن قباء Tunique الرومان . وهذه القمصلة تشد بالحزام خصوصـا في اوقـات العمل وهي ترتدي تحت الحيك . وانني اعتقـد ان كلمة Jillebba هي كلمة جلباب العربية التي بتر منها الحرف الاخير . وقد زاد تيفنو هذه الكلمة افسادا في كتابه (قصة رحلة الى المشرق — ص 53 ، حين كتبها Jillet . وهو يقول في معرض وصفه لمدينة تونس : « لبست ملابس البربر مشابهة تماما لملابس الاتراك لانهم بدلا من البذلة العسكرية المزركشـة يرتدون قمصلة يسمونها Camicole ويكتبها مؤلف (مهمة تاريخية في مراكش — ص 71 — مج 2 — ص 73 — مي 1 — ص 320) هكذا Chilivia وهـو يعتبرها سترة صغيرة من قماش غاية في الفلاظة . لها كمان ضيقان ومزودة بقبع كقبع الرهبان الكبوشيين مزفتة لوقاية الراس — وهذا الثوب قصير بحيث انه لا يتعدى الحزام » . ونقرا في رحلة وندس (رحلة الى مكناس — ص 29) « ان المغاربة الاشد ادقاعا يرتدون لباسا يدعى Gelebia وهو مصنـوع من قمـاش صوفي غليظ — وهذا الثوب لا اكمام له — ولكنه مزود بثقوب لامرار الذراع فيه — وهو يتدلـى حتى يبلـغ الركبتين — ويلتف كيفما اتفق حول الجسم على هيئة كيس » . ويكتب ريلي الكلمة في كتابه (بوار تجـارة السفن الشراعية ، ص 197 — 198 — 248) هكـذا Galabbia وهو يراها عباءة من الصوف لها كمان قصيران ومزودة بقبع كبوشي . اما علي بيـك في كتابه (الاسفار — ص 278 — ج 2) فيكتب الكلمـة على هذا المنوال Djilabia وهو يعتبرها قميصا او عباءة (Shirt or cloak) من قماش مخطط بخطوط دقيقة بيضاء وسوداء . ونطالـع في كتـاب كرابر دي هيسوامرآة جغرافية واحصائية للامبراطورية المراكشية — ص 82) ان طبقة الدهماء في مراكش والفقراء يرتدون لباسا واحدا وهو على هيئة كيس من القماش الغليظ ويدعى Gellabia : « وقد قورت في هذه الجلابية ثقوب من الجهة العليا ومن الجوانب لاجل ادخال الراس والذراعين » .

ومن المحتمل الا تكون هذه الكلمة قد اشتقت كليا من كلمة جلباب — وان هـذا النـوع من القمصلـة Camisole او الدراعة قد اشتق اسمه من الكلمـة البربرية Thelebeh التي تعني حسب قول فنتور في كتابه (رحلـة هورنمـان — ج 2 — ص 440) تـوبـا . Habit .

الجمـازة ، الجمـازة

اننا نجد في طبعة كلكتا للقاموس ، وفي افضل مخطوطة من مخطوطات ليدن لهذا السفر . ان الحرف الاول عليه فتحة . ولكن الجوهري (ج 1 ، مخ 85 ، ص 389) ينص نصا قاطعا على ان : « الجمزة بالضم مدرعة صوف . ويضيف الى ذلك قائلا :

قال الراجز :

يكفيك من طاق كثير الاتمـان
جمازة شمر منهـا الكمـان

ويرى القاموس ان كلمة جمازة تشير الى سترة او (دراعـة من صـوف) قمصلـة :
Une veste ou camisole en laine .

الجـنـة

اننا نقرا في القاموس (ط كلكتا ، ص 1734) : « الجنة كل ما وقى وخرقة تلبسها المراة تغطـي من راسها ما قبل ودبر غير وسطه وتغطي الوجه وجنبي الصدر وفيه عينان مجوبتان كالبرقع » .

الجنينـة

يرى القامـوس (ط كلكتـا ، ص 1734) ان « الجنينة هي لباس من حرير على هيئة الطيلسان . (الجنينة مطرف كالطيلسان) .

الجنبـل

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس .

ويقرر دييكو دي هيدو في كتابه (خطط مدينة الجزائر ، مج 4 ، ص 27) ان النساء في الجزائـر يضعن فوق البناقة ثلاث زينات للراس . الزينة الثانية

هي شبه عصابة (Trançado morisco) موريسكية من نسيج حريري دقيق مسترسل للغاية وهو يشبه ما يسمى Cendal ويكون عادة ملونا . وهن يلففن هذه الزينة حول رؤوسهن كما هي حالة الزينة الاولى تاركات الاطراف مسبلة فوق الاكتاف حتى موضع الحزام ، وهن يسمين هذا النوع من القلانس Chimbel (Este tocado) ولا ارتاب مطلقا فى ان نساء مدينة الجزائر العربيات قد صغن كلمتهن (جنبل) من الكلمة التركية (جنبر) التى هي الكلمة ذاتها بالتمام ، مع استبدال الراء باللام ، هما حرفان من نفس الطبقة والصنف . والعرب والفرس والاتراك يلفظون النون امام الباء مثل الميم وليس مثل النون . اذن احسن دييكو دي هيدو صنعا بكتابة (Chimbel) وليس (Chinbel) (1) .

الجـــوب

يفسر الجوهري (ج 1 ، مخ 85 ، ص 37) هذه الكلمة بكلمة (بقيرة) . ويفسر القاموس (ط كلكتا ، ص 60) هذه الكلمة بانها (درع المرأة) . Une chemise de femme

الجـــوخـــة

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

ولكن دونكم بادىء الامر مقالة شائقة للمقريزي (وصف مصر ، ج 2 ، مخ 372 ، ص 350) : « سوق الجوخيين : هذا السوق يلي سوق اللجميين . وهو معد لبيع الجوخ المجلوب من بلاد الفرنج (2) لعمل المقاعد (3) والستائر وثياب السروج وغواشيهم (4)

---

(1) يقول كوباروفياس حول كلمة صندل Cendal (الكنز ، مدريد 1611) ما يلي :
« قماش مصنوع من الحرير الناعم او من نسيج من الكتان الرقيق الخفيف . والذين يعتقدون بانه مصنوع من الحرير يقولون بأن اصل الكلمة Sedal وبعد اضافة حرف النون الذي سقط تصبح الكلمة Sendal اما الذين يقولون بانه نسيج الكتان الرتبق فيرجحون ان اصل الكلمة هو Sindone . (نص لاتيني بنفس المآل) ــ المترجم .
ويقول الاب Guadix بأن اصل الكلمة هو عربي مشتق من الاسم العربي صندالي Cendali والذي يعني غالبا الورق الخفيف الرقيق ، وهو الاسم الذي يطلقه العرب على الحرفي الذي يقوم بطرق صفائح الذهب الرقيقة ، وهو فى الاسبانية Batihoja اى طارق الاوراق الصفائح الذهبية) . (ترجمة لويس رومانوس)

(2) لعل البلد المصدر الرئيس هو البندقية. راجع سيلفستر دي ساسي فى كتابه ، (طرائف عربية ج 1 ، ص 87) .

(3) المقاعد تعني الصفف . لانني اقرا فى كتاب نادر للغاية اقتني الجزأين الاول والثاني منه (الجزء الثالث نادر) وعنوانه (Les Voyages du sieur de la Moraye en Europe, Asie et Afrique, tom. I, pag. 85
ان الصفة هي مصطبة مصنوعة من الألواح الخشبية ، وترتفع عدة اقدام عن الارض وتستند الى الحائط .
وتوضع فوقها المنادر ، وهي حشايا مغطاة بقطع من الاقمشة واسمها مكات Maccates ، ولها وسائد مغطاة كذلك ومستندة الى جدار العرفة لتتكئي عليها الظهور وقد التفت الساق بالساق ، كما يصنع الخياطون » .
ان كلمة مكات Maccattes التي اوردها هذا الرحال تعني بلا ريب كلمة مقاعد التي ذكرها المقريزي .

(4) من العبث كل العبث ان نتحدث عن كلمة غاشية ، بعد ان افاض فى شرحها العلامة الجليل كاترمير فى كتابه (تاريخ السلاطين المماليك ، ج 1 ، ص 4 ــ 7 ، ق 1) فقد اغترف بشأن هذه الكلمة من كنوزه الغزيرة ما لا قبل لنا بمباراته . ولكن هناك كلمة اخرى تدل كذلك على غطاء يوضع على ظهر الحصان او البغل ، وكان يصنع فى الغالب من الجوخ ؛ فيتحتم علي ان اقول بعض الكلمات عن هذا الغطاء .
اريد ان اتحدث عن كلمة زناري . فنحن نقرأ لدى السيوطي (حسن المحاضرة) وهو يتحدث عن القضاة ؛ ومراكبهم البغال . ويعمل بدلا من الكنبوش الزناري . وتقابل كلمة كنبوش الكلمة الفرنسية

وادركت الناس وقل ما تجد فيهم من يلبس الجوخ وانما يكون من جملة ثياب الاكابر جوخة لا تلبس الا فى يوم المطر . وانما يلبس الجوخ من يرد من بلاد المغرب ، والافرنج واهل الاسكندرية وبعض عوام مصر . فاما الرؤساء والاكابر والاعيان فلا يكاد يوجد فيهم من يلبسه الا فى وقت المطر . فاذا ارتفع المطر نزع الجوخة . واخبرني القاضي الرئيس تاج الدين ابو الفداء اسماعيل بن احمد بن عبد الوهاب بن الخطباء المخزومي خال امي رحمه الله قال : كنت انوب فى حسبة القاهرة عن القاضي ضياء الدين المجتسب فدخلت عليه يوما وانا لابس جوخة لها وجه صوف مربع فقال لي : وكيف ترضى ان تلبس الجوخ ؟ وهل الجوخ الا لاجل البغلة ؟ ثم اقسم علي ان اخلعها . وما زال بي حتى عرفته ان اشتريتها من بعض تجار قيسارية الفاضل . فاستدعاه فى الحال ودفعها اليه وامره باحضار ثمنها . ثم قال لي : لا تعد الى لبس الجوخ استهجانا له . فلما كانت هذه الحوادث وغلت الملابس دعت الضرورة اهل مصر الى ترك اشياء مما كانوا فيه من الرقة وصار معظم الناس يلبسون الجوخ. فتجد الامير والقاضي ومن دون من ذكرنا لباسهم الجوخ . ولقد كان الملك الناصر فرج ينزل احيانا الى الاسطبل وعليه ممجون من جوخ . وهو ثوب قصير الكمين والبدن يخاط من الجوخ بغير بطانة من تحته ولا غشاء من فوقه . فتداول الناس لبسه واجتلب الفرنج منه شيئا كثيرا لا توصف كثرته . ومحل بيعه بهذا السوق » .

قبل ايراد ترجمة هذا النص للمقريزي ، ارى لزاما علي ان احملكم على ملاحظة ان كلمة جوخ ، التي اشتقت منها كلمة جوخة ، هي الكلمة التركية جوقة التي تشير الى الجوخ . ولعل الكلمة اليونانية الحديثة روخن مدينة بأصلها الى هذه الكلمة التركية .

وتوجد كلمة جوخة فى هذا النص للنويري (تاريخ مصر ، مخ 2 ، ص 192) : ولبس السلطان جوخة مقطعة .

هذا النص الذي يبدو منه ان المقريزي نسخه عنه فى كتابه (تاريخ السلاطين المماليك ، ج 1 ، ق2 ، ص 63) . كما اننا نقرا لدى ابن اياس (تاريخ مصر ، مخ 367 ، ص 37) : قلع تخفيفته ولبس عمامة وجوخة من فوق ثيابه . ويفسر كانيس فى كتابه (ص 171 ، نحو عربي اسباني) الجوخة بانها لباس من الجوخ شبيه بالرداء الفرنسي الردنكوت Redingote .

الجوذياء

يرى القاموس (ط كلكتا ، ص 436) ان الجوذياء هي (مدرعة من صوف للملاحين) .

الجورب

تدل هذه الكلمة ـ حسب راي القاموس (ط كلكتا ـ ص 56) على (لفافة الرجل) .

واعتقد ان النص التالي للرحالة نيبور فى كتابه (رحلة الى البلاد العربية ، ج 1 ، ص 153) بوسعه ان يلقي ضوء او بعض الضوء على هذا التفسير . يقول الرحالة : « ان الشرقيين يلفون اقدامهم وسيقانهم بخرق صوفية كبيرة ـ وفوق هذه اللفافات يلبسون خفافهم الواسعة . وعلى ذلك فان خطواتهم ثقيلة ـ ولكن هذه الخرق تدفيء اكثر مما تدفيء جواربنا . فاذا تبللت هذه الخرق مرة ـ فانها لن تدفيء بعد ذلك الا قليلا ـ وعلى نقيض ذلك ـ فان هذه اللفافات يمكن ان توضع حول الساقين بشكل يختلف عن شكل الامس ».

ويرى ابن بطوطة (الرحلة ـ مخ دي كايانكوس ـ ص 47) ان المسلمين يرتدون الجوارب حين طوافهم حول الكعبة لحماية اقدامهم من الحرارة اللاهبة .

لاهوس la housse . . وان المستشرق دى ساسي الذي نشر هذا النص فى كتابه المنوه به (ج2 ، ص 297) ـ راجع كذلك تعليقه ، ص 270 ـ قد توهم فى طبع الكلمة هكذا (زنادي) فى حين انها (زناري) وهي موجودة فى مخطوطتي ليدن لكتاب السيوطي (مخ113 ، ص 354 ، ومخ 376 ، ص 460) ، ولا مرية ان الشك قد انقطع استنادا الى النص التالي لمخطوطة بخط النويري نفسه (تاريخ مصر ، مخ 19 ب ، ص 121) حيث نقرا : انعم عليه ببغلة بسرج وزناري جوخ . وقد قرات فى جزء آخر من نفس الكتاب (مخ 2 ، ص 116) : وركب فرسا اشهب من مراكيب السلطان بزناري اطلس احمر بدائر اصفر برقبة سلطانية مزركشة وسرج سلطاني محلى بذهب .

راجع بركهارت فى كتابه (تعليقات على البدو والوهابيين ، ص 121) .

راجع كذلك حول كلمة رقبة تعليق « كاترمير » فى كتابه « تاريخ السلاطين المماليك ، ج 1 ، ق 1 ، ص 135 » .

ويفسر بيدرو دي الكالا فى كتابه (مفردات اسبانية عربية) هذه الكلمات Calças de muger بأنها جورب . ولعله يستعمل كلمة Calças لا بمعنى تبان Caleçon او سروال Culotte وانما بمعنى جورب Medias, calzas, bas .

المجـــول

يظهر ان هذه الكلمة تشير الى ثوب صغير للمرأة . فنحن نقرأ لدى الجوهري (ج2 ، مخ 85 ، ص 191) : « المجول ثوب صغير تجول فيه الجارية. ويستشهد اللغوي فى هذه المناسبة بالشطر التالي من معلقة امرىء القيس (الطويل) :

اذا ما اسبكرت بين درع ومجول (1)

والدرع هو قميص المرأة الكبيرة ، والمجول هو قميص المرأة الصغيرة .

ويرى الفيروزبادي (القاموس ـ ط كلكتا ـ ص 1418) ان هذه الكلمة تشير الى (ثوب للنساء وللصغيرة) . وكان العرب القدامى يستعملون هذا الثوب فى لعبة الميسر . ويقول النويري انه (ثوب ابيض) . راجع راسموسين Rasmussen ذيل تاريخ العرب قبل الاسلام ـ ص 28 من النص العربي .

الحبـرة ـ الحبـرة

تدل هذه الكلمة على نوع من البرد ـ مصنوع فى اليمن ـ ومعنى ذلك ان الحبرة هي رداء واسع مخطط. ولذلك استطاع احد الشعراء (اليتيمة ـ مخ لي Lee ص 14) ان يقول وهو يتلقى كتابا من احد الاصدقاء (البسيط) :

وروضة من رياض الفكر دبجها
صوب القرائح لا صوب من المطر
كأنما نشرت ايدي الربيع بها
بردا من الوشى او ثوبا من الحبر (2)

وهكذا نرى ان الشاعر هنا ينظر امامه الى رياض تتفاوح بالازهار وتتماوج بالالوان ـ فيشبهها بالملابس المخططة الملونة المسماة بالبرود والحبر .

ونحن نقرأ فى صحيح البخاري (ج 2 ، مخ 356، ص 128) فى باب البرد والحبرة والسملة ـ الحديث التالي ـ المروي عن انس الذي يرويه هو بدوره عن قتادة . قال : قلت له اى الثياب كان احب الى النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قال : الحبرة . ونقرأ كذلك فى الباب نفسه ان المرأة التي كانت عزيزة على قلب الرسول ـ وهي عائشة ـ قالت : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين توفى سجى ببرد حبرة .

واستنادا الى الكتاب المعنون : عيون الآثار (مخ 340 ، ص 188) نعلم ان الرسول ترك فيما ترك حين توفى حبرة . ويظهر ان هذه الثياب ما كانت تصنع الا فى اليمن (الجوهري ـ ج : ـ مخ 85 ص 276 ـ والقاموس ط كلكتا ـ ص 491) . ويتحتم علي ان اعترف ما يميز الحبرة من البرد .

وفى العصور الحديثة اصبحت هذه الكلمة تدل على شىء آخر مختلف كل الاختلاف . اذ لما شعرت نساء مصر أن الازار اصبح مزريا بشموخهن شرعن بارتداء هذا الرداء الحريري ـ او المصنوع من التفتا او من الشال ـ وخلعن عليه اسم الحبرة ـ هذه التسمية الموجودة فى كتاب (وصف مصر ، ج 18 ، ص 114) ـ وبوسعنا رؤية هيئة هذا اللباس فى الاطلس (ج 1 ـ اللوحة 41) .

ونحن نرى فى اللوحة العشرين من (رحلة ويتمان فى تركيا الاسيوية وسورية ومصر ـ ص 384: Wittman (Travels in Asiatic Turkey, Syria and Egypt)

« ان النساء يرتدين رداء اسود واسعا يغطي على وجه التقريب كل الجسم ويتدلى حتى العقبين » .

---

(1) الشطر الاول من هذا البيت هو : الى مثلها يرنو الحليم صبابة .
راجع شراح معلقة امرىء القيس كالزوزني والشنقيطي والتبريزي وغيرهم (المترجم) .

(2) ان كلمة وشي تشير الى نوع من القماش الثمين . فالادريسي (الجغرافية ، ج 2 ، ص 128) يعلمنا ان هذا القماش كان يصنع فى اصفهان . وفى نص لابن سعيد ذكره المقري (تاريخ الاندلس مخ غوتا ص 40) نقرأ : فقد اختصت المرية ومالقة ومرسية بالوشى المذهب الذي يتعجب من حسن صنعته اهل المشرق اذا راوا منه شيئا. وفى تاريخ العباسيين للنويري (مخ 2 ، ص 150) ورد ذكر وشى اليمن ووشى قرمز . وهذه الكلمة الاخيرة تنم على ان الوشى هو نوع من (الاسقلاط ـ القرمزي ـ الارجواني écarlate) .) . والكلمة تدل كذلكعلى لباس ملون. وبوسعكم ـ للتعمق فى هذا الموضوع ـ مراجعة الجزء الاول من كتابي : (تاريخ بني عباد ، ص 86 ـ 87 ـ ت 753) .

ونقـــرا فى كتـــاب تيرنـــر ـ ص 396 ـ ج 2
(Turner, Journal of a Tour in the Levant,
« ان الميسورات الحال ـ ســـواء كن مسلـــمات او مسيحيات ـ يستترن ـ لدى خروجهن من مساكنهن ـ برداء واسع من الحرير الاسود » . واخيرا اليكـــم الوصف الدقيق للحبرة ـ الذي يعرضه لنا ليـــن فى كتابه (المصريون المحدثون ج 1 ، ص 61) : « ان حبرة المرأة المتزوجة تتألف من عرضي قماش من الحرير الاسود الملمع . وكل عرض من هذين العرضين عرضه ذراع وطوله ثلاث اذرع ـ وهما مخيطان معا فـــوق طرفي القماش او قربهما (حسب ارتفاع القامة) ـ فى حين ان الخياطة موضوعة بصورة افقية ـ بالنسبة للهيئة التي يرتدي بموجبها هذا اللباس . وهناك قطعة دقيقة من شريط اسود مخيطة داخل الجزء العلوي ـ على بعد نحو ست بوصات من الجانـــب ـ لتكـــون ملفوفة حول الراس . ـ اما الاوانس فيرتدين حبرة من الحرير الابيض ـ او حبرة من الشال » . امـــا فى ايامنا هذه فان الحبرة ما زالت مستعملة فى الجزيرة العربية ـ فى سورية وفى الجزيرة . ويعلمنا بركهارت فى كتابه ـ رحلات فى الجزيـــرة العربيـــة ـ ج ـ ص 329 (Burckhardt : Travels in Arabia
ان نساء مكة يرتدين الحبرة الحريرية السوداءالفضفاضة كما ترتديها نساء سورية ومصر » .
ويؤكد بكنكهام ـ فى كتابه ـ رحلات فى بلاد ما بين النهـــريـــن ـ ج 1 ـ ص 392
Buckingham : Travels in Mesopotamia,
ان نساء ديار بكر يرتدين احيانا خمارا واسعا من الحرير الاسود ـ كما هي العادة فى القاهرة بين نساء الطبقة المـــرفهـــة » .

الحريـــم ، الاحـــرام

نحن نعلم ان كلمتي حريم واحرام تشيـــران الى نوع من القماش يستعمله المسلمون اثناء تأدية فريضة الحج الى مكة المكرمة . ومع ذلك فان كلمة احـــرام لا وجود لها فى القاموس بهذا المعنى .

ويرى وايلد فى كتابه (وصف رحلـــة اسيـــر مسيحي ، ص 64) ان « الاحرام Ehram هو قطعة من الشعر » . وبمقدورنا رؤية هيئة الاحرام Ihrâm فى الجزء الثاني من كتاب (صورة عامة للامبراطورية العثمانية لمرجي دوسون Mouradgea d'Ohsson .

واخذا بوجهة نظر احد شراح الحريري (المقامات، ص 255) تشير كلمة احرام كذلك الى : نوع من غطاء الراس شبيه بالمئزر (راجع هذه الكلمـــة) الـــذي يستعمله عرب اسبانيا وافريقيا . والواقع ان بيدرو دي الكالا فى كتابه (مفردات اسبانية عربية) يؤكد ان كلمة احرام تدل على نوع من اغطية الـــراس يشبـــه المئـــزر ... « Toco como almyzar »

وبهذا المعنى صادفته لدى ابن بطوطـــة (مخ دي كايانكوس ، ص 4) : « وسرنا الى ان وصلنا الى مدينة قسطنطينية . ونزلنا خارجها واصابنا مطر جود اضطرنا الى الخروج عن الاخبية ليلا الى دور (1) هنالك. فلما كان من الغد تلقانا حاكم (2) المدينـــة وهـــو من الشرفاء الفضلاء يشهر بأبي الحسن . فنظر الى ثيابي وقد لوثها المطر فأمر بغسلها فى داره . وكان الاحرام منها خلقا . فبعث مكانه احراما بعلبكيا (3) وصر فى

---

(1) ان كلمة دور تشير تماما الى مجموعة من خيام العرب البداة . وهذه الكلمة موجودة بهذا المعنى لدى معظم الرحالين الذين طوفوا فى شمال افريقيا فى مختلف الحقب .

(2) راجع حول استعمال كلمة حاكم فى المدن المغربية ، لمبريير Lempriere فى كتابه (رحلـــة الى مراكش ، ص 256) . وراجع ايضا كرابر دي همسو فى كتابـــه (مرآة جغرافيـــة واحصائيـــة للامبراطورية المراكشية ، ص 211) اذ يكتب الكلمة هكذا Hhakem . راجع كذلك :
Charant (Letter in answer to divers cutious questions, pag. 51, 52, 53)
وارجع ايضا الى توريس فى كتابه (قصة الشرفاء ، ص 193 ـ 259) .

(3) معنى ذلك : من القطن البعلبكي الابيض . راجع التعليقات فى مادة بغلطاق .

احد طرفيه دينارين من الذهب ، فكان ذلك اول مـــا فتح (1) به علي فى وجهتي » (2) .

وبوسعنا ايضا مراجعة : النص التالي لرحالتنـا الوارد فى (ص 40) .

الحـــــزة

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

ونحن نعلم ان حزة تدل فى اللغة العربيـــة على الباكية (3) حيث مجرى التكة . ومعنى ذلك الحزام الذي يستعمل لربط التبان . وقد اكتسبت كلمة حزة فى مالطة من جمعها حزز مفهوما اشد اتساعا ، اذ انهـا فى ايامنا هذه تشير الى التبان مع التكة او الحزام . راجع فاسيلي فى كتابه (مج 262 قويميس مالطي) .

الحـــــزام

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس ، بالمعنـــى المـــراد .

وتشير كلمة حزام فى مصر الى الزنار الـــذي يشده الرجال فوق القفطان ، والذي تشده النساء فوق اليلك او فوق الانطاري . يقول الكونت دي شابرول فى كتابه (وصف مصر ، ج 18 ، ص 108) واصفـا زي الرجال : « الحزام مصنوع من الموصلي ومن الصوف او من الحرير ، وهو يشد فوق القفطان » . ويقول بعد ذلك (ص 113) وهو يصف زي النساء : « الحـزام يكون فى الصيف من الحرير او من الموصلي ، ويكون فى الشتاء من شال الصوف الكشميري . وهو حين يربع يتدلى الى الوراء على هيئة مثلث » . ولم تدخل هذه الكلمة حديثا الى اللغة العربية . فانني اقرأ لدى ابن بطوطة (الرحلة ، مح دي كايانكوس ، ص 113): « اخذت بالحزام وشددت وسطي » . وفى موضـــع آخر (146) يقول المؤلف نفسه فى مقالته المهمـة ، وهو يفيض فى اتحافنا بأعجب التفصيلات عن بلغـــار الفولغا : « وياتي الباروجي وهو مقطع اللحم وعليـــه ثياب حرير قد ربط عليها فوطة حرير وفى حزامه جملة سكاكين فى اغمادها » . ونجد فى كتاب الف ليلة وليلة (ط مكناكتن ، ج 1 ، ص 904) : « البسه قميصـــا وثوبا من ثيابه وعمامة لطيفة وحزاما رفيعا » . ولما لم يكن لعرب مصر ــ حسب علمي ــ كلمة اخرى للاشارة الى الحزام المعمول من القماش ، الذى يشـد علـى القفطان ، فلا يريبني اى شيء مطلقا فى ان العبارات

---

(1) الترجمة الحرفية : « الفتوح الاولى التي تلقيتها » . وحسب رأي مؤلف كتاب (التعريفات) ان كلمـة فتوح تعني : «احراز شيء من جانبلا يتوقع احراز شيء منه . راجع تعليق سيلفستر دى ساسي فى كتابه (تعليقات ومقتبسات ، ج 7 ، ص 336) .والكلمة تشبه كلمة الصدقة لدينا (Aumône) لان ابن بطوطة يقول فى مكان آخر (مخ ، ص 140) وهو يتحدث عن الفقراء : « وعيشهم من الفتوح » . كما يقول كذلك (ص 77) : « يعيشون من فتوحات الناس . وان جملة فتح به عليه الموجودة فى نصنا تصادف كذلك فى عبارة اخرى لابن بطوطة (مخ . ص 227) . فنحن نقرأ فيه : كان ياخذ منهم مقدار ما يعطي الفقراء . ويقول لمن اخذ ذلك منـــه : اقعد حتى تاخذ اول ما يفتح به علي فى ذلك اليوم . (كان يتلقى الهدايا الصغيرة من صغار الخبازين والفاكهانيين) .

(2) ان كلمة وجهة تعني رحلة ، سفرة . فنحن نقر فى موضع آخر لدى ابن بطوطة (مخ . ص 100) : « وفى هذه الوجهة توفيق » . وبعد ذلك (ص 138) نقرأ : « وسافر ايضا معه فى هذه الوجهـــة امامه» . ودونكم هذا البيت ، الوارد فى احدى مخطوطات كتاب ابن خاقان (قلائد العقيان ، مخ 35 ، ص 15) شاهدا على ذلك وهـــو لابن اللبانـــة (البسيـــط) :

وان تكن وجهتي من فوق مذهبـــه فليس تضرب فى وجهـــي الملمـــات

ونجد فى كتاب مطمح الانفس لابن خاقان (مخ سان بطرسبورك ، ص 84) : « نشأت له ريح صرفته عن وجهته » . وفى الاحاطة لابن الخطيب (مخ دي كايانكوس ، ص 54) : « ولما انصرف من وجهتـه اعادهما معه قافلا الى مراكش » . وفى رسائل نفس الكاتب (مخ 11 ، ص 6) : « استفهم عن سبب وجهته » . وفى رحلة خالد بن عيسى البلوي (مخ غوتا ، ر 1154 ، رقة 2 (الوجه) نقرأ : الرحلة الحجازية ، وذكر معاهد الوجهة المشرقية .

(3) راجع سعد الخادم ، الازياء الشعبية ، المكتبة الثقافية ، ص 20 و 22 . ويسمى مدار التكة كذلـــك حجزة السراويل . المخصص لابن سيدة ، ج 4 ،ص 81 ، المطبعة الكبرى الاميرية ، 1317 هـ (المترجم)

التالية تشير الى الحزام . فنحن نقرأ في قصة بوكوك (وصف الشرق ، ج 1 ، ص 327) وفوق كل الثياب (يعني الصديري والبلك والخفطان (القفطان) عدا الثوبين الفوقانيين (البنيش والفرجية والكسرك) يلبسون حزاما من الحرير او من المنقاش . (الزملوط (Camelot) او من الصوف الذي يوضع فيه سكين بغمده » . اما لدى نيبور (رحلة الى الجزيرة العربية ، ج 1 ، ص 152) فنقرأ : « وفوق الانطاري يرتدون قفطانا . وفوق هذا القفطان يشدون اوساطهم بحزام كبير ، يطوي فيه ذلذل من القفطان لاستطاعة المشي بحرية تامة ، ولاجل ان يظهر الانطاري ويبين الشكشير » . الجقشير ؟ Schakschîr

ويقول لين ايضا في كتابه (المصريون المحدثون ، ج 1 ، ص 41) ان الزنار الذي يشده القوم فوق القفطان ، الذي هو (شال ملون ، او قطعة طويلة من الشاش الموصلي الابيض وفيه تصاوير وتهاويل) يحمل اسم حزام . وفي موضع آخر (ج 1 ، ص 58) يصف هذا المؤلف حزام السيدات بهذه الكلمات : « انه شال مربع ، او طرحة مطرزة مبطنة بقطع منحرفة ، وهو يوضع كيفما اتفق وسط الانسان ، اما نهايتاه ، فمطويتان احداهما على الاخرى وتتهدلان الى الوراء ».

وكلمة حزام مستعملة ايضا في المغرب . ويترجم دونباي في كتابه (النحو المغربي العربي ص 83) كلمة حزام (كذا) « Cingulum ex serico vel linteo » ويكتبها كرابر دي همسو (المرآة ، ص 141) هكذا : Hhazàm

ويكتبها هوست (اخبار من مراكش ، ص 115) : Hazem . وهي في نظره : « زنار واسع من الحرير يشده الناس فوق القفطان ، ويصنع في فاس ، ويباع فيها بعشرين ماركا او بمائة مارك » . وبعد ذلك (ص 119) يؤكد الرحالة نفسه أن النساء يشددن حزاما على الحيك Hazem . ولا يساورني اقل ريب في ان العبارات التالية لمارمول تخص الحزام . فنحن نقرأ لدى هذا المؤلف في كتابه (وصف افريقيا ، ج 2 ، ص 87 ، مج 3) : « وبالقرب من هذه الحوانيت توجد حوانيت اخرى حيث تصنع الحزم الحريرية والصوفية التي تستعملها النساء . وهذه الحزم منسوجة على حبال غليظة من القنب ومزودة في نهاياتها بأرمال Houpes طويلة للغاية . وهي تبرم مرتين على الجسم فتتدلى الارمال من الجهة الامامية اى الاقبال . وهي زينة عظيمة للنساء . ويستعملها على الاخص (الاعرابيات ؟) Alaravias . وفي موضع آخر (ج 2 ، ص 103 ، مج 2) : « ان نساء الاعراب ، اولئك اللواتي يعشن في فاس ، وكل نساء البربر ، لهن عادة لبس امثال هذه الاحزمة التي تصنع ، كما سبق ان قلنا في Alcayceria ، ومع ذلك فهن لا يستعملن هذه الاحزمة قط اذا لبسن الثياب المسماة المرلوطات (Marlotas) ، ولكنهن يستعملنها لحزم الحيكات او الاكسية (Les haiks ou kissâs) . وفي مالطة تشير كلمة حزام (Hzym) كذلك الى زنار . راجع فاسيلي (قويميس كالطي ، مج 267) . ومن كلمة حزام تولد الصيغة السابقة انحزم ، التي لا وجود لها في القاموس . فانني اقرأ لدى ابن بطوطة (مخ دي كايانكوس، ص 120) : «وكل واحد منهم منحزم . (1)

المحشا ، المحشاء

لا وجود لجمع هذه الكلمة (المحاشي) في القاموس، طبقا لراي الجوهري (ج 1 ، مخ 85 ، ص 6).

ويقول اللغوي نفسه : « تشبير هذه الكلمة استنادا الى راي ابي زيد الى كساء غليظ » . ونقرأ في القاموس (ط كلكتا ، ص 13) : « والمحشا كمنبر ومحراب كساء غليظ او ابيض صغير يتزر به او ازار يشتمل به » .

راجع بهذا المعنى للازار المادة التالية .

الحشية ، الحشى ، المحشاة

تشير الكلمتان الاولى والثانية الى ما يدعى بالفرنسية Une tournure عظامة ، وكذلك الى ما تضعه المراة على ثديها لتظهيره اضخم . فنحن نقرأ في القاموس (ط كلكتا، ص 1863) : «مصدغة تعظم بها المراة ثديها او عجيزتها كالمحشى » . ونطالع في الجوهري (ج 2 ، مخ 85 ، ص 423) : « الحشية واحدة الحشايا . والمحشى العظامة تعظم بها المراة الرسحاء عجيزتها » . قال الشاعر :

جما غنيات عن المحاشي

ولكننا نقرأ كذلك لدى اللغوي نفسه : قال الاصمعي . « المحاشي اكسية خشنة واحدها محشاة».

---

(1) ربما كان الاصح : متحزم

وعلى ذلك فيبدو ان كلمة محشاة كانت تدل على لباس غليظ . والواقع انه بمكننا أن نستخلص من عبارة للمقري (نفح الطيب ، مخ غوتا ، ص 373) ان الثوب المسمى محشاة والجمع محاشي ، كان يلبس فى الاندلس من قبل عامة الشعب (المحاشي ثياب العامة) .

الحقب ، الحقاب

هاتان الكلمتان مفسرتان فى القاموس (ط كلكتا، ص 29) على هذه الشاكلة : « شيئى تعلق به المراة الحلى وتشده فى وسطه » . وقد راينا آنفا (ص 71 ، مادة البربم) ان شارح جرير يفسر كلمة البربم بكلمة الحقاب .

الحقو ، الحقو ، الحقاء

يرى بركهارت Burckhardt فى كتابه (ملاحظات حول البدو، ص28 (Notes on the Bedouins) ان كلمة حقو تشير لدى العنزيين Anazis الى نفس ما تشير اليه كلمة بريم لدى اهل الشمال . راجع كلمة بريم . ويرى القاموس (ط كلكتا،ص 1865) والتبريزي (شرح الحماسة ، ص 793) ان كلمة حفو او حقو تشيران كذلك الى الازار ، ومعنى ذلك الاشارة الى نوع من التبان تستر به العورة .

الحلية

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

ويرى لين (المصريون المحدثون ، ج 1 ص 29) ان القوم يسمون نوعا من القماش الصوفي الاسمر الداكن حلية ، وهو الذي تستعمله النساء فى الأصقاع الجنوبية من مصر العليا ، لا سيما ما وراء اخميم . فهن يسترن به اجسادهن ويشددن اطرافه العليا بعضها فوق بعض ، على كل كتف . انظر هيئة هذا اللباس فى كتاب لين ، ج 1 ، ص 68 .

الحور

يقول القاموس (ط كلكتا ، ص 503) : الحور ما تحت الكور من العمامة . فهل الحور طاقية ام طربوش؟

الحوف

ليس بوسعي اضافة اى شيء الى التفاصيل التي اوردها فريتاك Freytag حول هذه الكلمة . والجوهري (ج 2 ، مخ 85 ، ص 69) يقول : الرهط وهو جلد يشق كهيئة الازار تلبسه الحائض والصبيان.

أما بقية التفصيلات التي نقراها فى المعجم فهي مستعارة من القاموس .

الحياصة وجمعها الحوائص

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس ، بوصفها تشير الى حزام . وكاترمير فى تاريخ السلاطين المماليك ، ج 1 ، ق 1 ، ص 31) هو الذي استنبط هذا المعنى من الكلمة ، وذلك بايراده طائفة من العبارات لمؤلفين عرب ما استطاع الى ذلك سبيلا . ومن العبث ذكر امثلة اخرى من هذا النوع للبرهنة على الامر نفسه ، ولكن كاترمير لم يتحتم عليه ان يؤلف كتابا خاصا موضوعه اسماء الملابس لدى العرب. اذن لن يضيره ولن يسوءه ، وانا واثق من ذلك كل الوثوق ، اذا اضفت هنا بعض التفصيلات الى تعليقاته القيمة . وما دام المقريزي يقول إن الحياصة هي ما كان يسمى قديما بالمنطقة ، فانني سأجعلكم تلاحظون ان هذا النوع من الحزام كان دائما من الفضة او من الذهب. ولن تقراوا ابدا عن حياصة او عن منطقة كانت من الجلد او من قماش من الاقمشة . واليكم الان التفصيلات التي هيأها لنا المقريزي فى كتابه (وصف مصر ، ج 2 ، مخ 372 ، ص 352) :

سوق الحوائصيين

« هذا السوق يتصل بسوق الشرابشيين . وتباع فيه الحوائص . وهي التي كانت تعرف بالمنطقة فى القديم . فكانت حوائص الاجناد اولا اربعمائة درهم فضة ونحوها . ثم عمل المنصور قلاوون حوائص الامراء الكبار ثلثمائة دينار والامراء الطبلخانه (1) مائتى دينار ومقدمي الحلقة من مائة وسبعين الى مائة وخمسين دينارا . ثم صار الامراء والخاصكية (2) فى الايام الناصرية وما بعدها يتخذون الحياصة من الذهب

(1) راجع كاترمير ، تاريخ السلاطين المماليك ، ج 1 ،ق 1 ، ص 173 .
(2) راجع كاترمير ، تاريخ السلاطين المماليك ، ج 1 ،ق 2 ، ص 158 – 159 .

ومنها ما هو مرصع بالجوهر . ويفرق السلطان فى كل سنة على المماليك من حوائص الذهب والفضة شيئا كثيرا . وما زال الامر على ذلك الى ان ولى الناصر فرج . فلما كان فى ايام الملك المؤيد شيخ قل ذلك . ووجد فى تركة الوزير الصاحب علم الدين عبد الله بن زينور لما قبض عليه ستة آلاف كلوتة جهاركس (1). وما برح تجار هذا السوق من بياض (2) العامة . وقد قل تجار هذا السوق فى زمننا وصارت اكثر حوانيته يباع فيها الطواقي التي تلبسها الصبيان وصارت الان من ملابس الاجناد » .

ويتحتم على كذلك ان الاحظ ان الحياصة كانت تستعمل ايضا لدى النساء . فنحن نقرأ فى كتاب الف ليلة وليلة (ط مكناكتن ، ج 1 ، ص 732) : وفى وسطها حياصة مرصعة بأنواع الجواهر . ونقرأ فى موضع آخر (ط مكناكتن ج 2 ، ص 102) : فسحبت خنجرا من حياصتها .

الحيك او الحائك

لا وجود لهاتين الكلمتين فى القاموس . ومع ذلك فانني اعتقد انهما من اصل عربي وانهما مشتقتان من الفعل حاك Tisser . تيسيه .

يقول مارمول فى كتابه (وصف افريقيا ، ج 2 ، ص 4 ، مج 2) فى معرض حديثه عن بربر ولاية حاحة Héha اشد ولايات مملكة مراكش غربية : «ان النساء يرتدين نوعا من الازار (Unos alquiceles) وهذا الرداء اسمه (Hayque) quellaman hayques وهو مصنوع على هيئة ملاحف (Almalafas) غرناطة ، ولكنه محروم من نعومتها » . ويقول المرجع السابق نفسه بعد ذلك ؛ وهو يصف السرر والمنامات (Camas) : « بدلا من شراشف السرر (Savanas) يفرشون احد هذه الازار التي يسمونها كما قلت (حيك Hayques» وفى موضع آخر (ج 2 ، ص 83 ، مج 2) يقول واصفا مكناس : « والنساء يتجولن ملفوفات لفا تاما ببعض الازار البيض (Con unos alquiceles) . الفضفاضة بافراط المصنوعة من الصوف والمسماة Hayques ، بحيث لا يستطيع احد رؤية وجه احدى النساء » . واخيرا (ج 2 ، ص 102 ، مج 3) نجده يتحدث عن سواد الناس فى فاس فيقول : « اما اولئك اللواتي لسن من الغنى بحيث يستطعن شراء الثياب (Sayos) فانهن يرتدين الازر يلتففن بها : (De aquellos alquiceles rebueltos al cuerpo) .

ويقول دييكو دي هيدو (خطط مدينة الجزائر ، مج 2 ، ص 28) عن نساء مدينة الجزائر انهن يرتدين ازرا بيضا لدى خروجهن من منازلهن (Unos mantos blancos) وهذه الازر مفرطة الفضفضة ، وهي مصنوعة من الصوف الناعم او منسوجة من الصوف والحرير ، وهن يبذلن ما فى اطواقهن لجعلها غاية فى البياض بفضل بذل الصابون بسخاء ، كما يعطرنها بالكبريت وباشياء اخرى . وهن يسمينها Alhuyque الحيك . وهذه الازر هي كالملاحف التي سبق لنا ان تحدثنا عنها ، او هي شبه قطعة من الجوخ المربع طولها نحو ثلاثين شبرا وعرضها اربعة عشر او خمسة عشر شبرا . والنساء يلتففن بهذه الازر ويعلقن احد اطرافها على الصدر بمعونة بعض الابازيم او الدبابيس الكبيرة المعمولة من الفضة المذهبة ، وهن يطرحن جماع الازار على الاكتاف والراس ، اما الجانب الآخر ، وهو الطرف التحتاني فانهن يسترن به الذراع اليمنى . وعلى هذه الطريقة يختفين اختفاء تاما بحيث لا يبقى لهن الا المجال الضروري لاستطاعة مواصلة السير . وهكذا فان هذه الازر تشبه بعض الشبه Une bourguignotte وهو القناع الكامل الذي كان مستعملا فى نهاية القرن الخامس عشر وفى نهاية القرن السابع عشر ، حين كان يرتديه رجال السلاح . وعلى هذه الصورة يدرجن فى الدروب مختبئات فى ازرهن اختباء تاما بحيث ان ازواجهن انفسهم لا يستطيعون تشخيصهن ، اللهم الا من اسلوب مشيتهن او عن طريق صواحبهن او مرافقتهن » .

ونجد بعد ذلك دييكو دي هيدو (ص 28 ، مج 3) يقول عن الامساء : « انهن يرتدين نفس الازر (Los mismos mantos) التي ترتديها سيداتهن ، ولكن ازرهن ليست على درجة جمال ازر مالكات رقهن » . ويتحفنا دابر كذلك فى كتابه (وصف حقيقي دقيق لاقاليم افريقيا ، مج 2 ، ص 239) بتفاصيل

---

(1) الكلوتات الجركسية ذكرها المقريزي ، واوردها كاترمير فى كتابه (تاريخ السلاطين المماليك ، ص 138 ، ق 1 ، ج 1 .

(2) هذا المعنى لكلمة بياض لا وجود له فى القاموس . وستجدون مثالا آخر فى تعليقة على مادة قباء .

قيمة عن الحيك Le hayk ، خلال وصفه لازياء سفراء ملك مراكش وفاس ، الذين جاؤوا الى استردام عام 1659 . واليكم ما يقوله : « كان ابراهيم ماينو يلف حول جسمه ثوبا ابيض محوكا من الصوف المرسل ، المملوء بندف القطن من الجانبين ، ويبلغ طول هذا الثوب خمس او ست اذرع ، اما عرضه فذراع ونصف ذراع ، وهذا هو اللباس الاعتيادي للرجل والمراة في هذا البلد ، ولكنه يرتدي اكثر ما يرتدي لدى خروج صاحبه من منزله . واهل مراكش يحسنون تفصيله وتكفين الجسم به بهيئات مختلفة ، وهم يسمونه باللغة العربية الحيك ، كما يسمونه كساء Kissa . وتتدلى من الاسفل خيوط مبرومة على الاكثر او قياطين مغزولة بالمغزل ، يدعونها مرسلة فيه اثناء الحياكة ، وتدعى لديهم (هدو Hudou) ، ويقول دابر بعد ذلك (ص 241، مج 1) ان احد خدم السفراء كان يرتدي حيكا فضفاضا مصنوعا من قماش أسود غليظ » . ويكتب جارنت في كتابه (رسالة جوابا على مختلف الاسئلة الغريبة ، ص 40 و 41) عن الحيك Alhaique فيفسر هذه الكلمة بانها : « ازار من الصوف الابيض ، يبلغ طوله اربع او خمس اذرع وعرضه يصل الى ذراع ونصف الذراع . ويكتب رولان فريجوس عن الحيك Haicque في كتابه (رحلة الى موريتانيا ، ص 44) ويفسر هذه الكلمة بانها ازار. ويتحدث كذلك سان اولور في كتابه (الحالة الراهنة للامبراطورية المراكشية ، ص 90 ، 92 ، 94) عن هذا الازار الذي يسميه Hayick . . ويكتب موت كلمة حيك هكذا : Haique في كتابه (قصة غزوات مولاي ارشي ، ص 381 ، 384) . وفي الكتاب المعنون (مهمة تاريخية في مراكش ، ص 519 ، مج 2) يتحدث مؤلفه عن كلمة Xayque . ويكتب وندس الكلمة هكذا : Alhague في كتابه (رحلة الى مكناس ، ص 28 ، 30 ، 57) . ويتحدث شو ايضا في كتابه (رحلات الى بلاد البربر والشرق ، ج 1 ، ص 319) عن هذا اللباس . ويكتبه Hyke . ويقول ان طول هذا الثوب في العادة ثماني عشرة قدما وعرضه خمس اقدام . ويضيف الى ذلك ان العربي يرتديه اثناء النهار ويستعمله كغطاء سواد ليلته . ولكن دونكم الوصف الدقيق لهذا اللباس الذي هيأه لنا هوست في كتابه (اخبار من مراكش ، ص 115 ، 116) : « يلبس الرجل في مراكش وفاس حيكا Haik فوق القفطان، وهو يحتوي على قطعة من القماش الصوفي الابيض ، يبلغ طوله عادة تسع اذرع ويصل عرضه الى ثلاث اذرع . والجميع يلتفون بهذا الازار ابتداء بالملك وانتهاء بأهون مراكشي ، وهذا الارتداء يكون على انماط مختلفة : ومع ذلك فان اشيع هذه الانماط هو وضع الحيك على الراس وطرح نهايته على الكتف اليسري ، كما يوسعنا ان نراه في اللوحة الثانية عشرة ، الصورة الاولى .

اما لدى المثول بين يدى الملك فيجب نزعه عن الراس ، ويجب وضع عقدة فيه تدعى Achât Errua اخط الروة (1) .

وهذا اللباس عميم الفائدة على الفقراء بوجه الخصوص . فبصرف النظر عن امكانهم الاستغناء عن الملابس الاخرى فانهم يستعملونه بدلا من دثار السرير او شرشفه لينامو فوقه ، علاوة على انهم يستعملونه استعمال الكيس ، حين يكون لديهم ما يحملونه . كذلك يمكن استعماله كمنديل يتمخطون فيه وينشفون به الانوف ، واخيرا يمكن استعماله ثوبا للصيد يستطيعون الصيد فيه لتزجية الوقت ، خلال ساعات ، دون ان يضايقهم شيء . ولكنه يضايقهم اثناء العمل ، لانه يربك اليدين في كل لحظة ويسقط بصورة مشوشة . فترتب على ذلك انهم يخلعونه عادة اثناء هذه الحالات ليسلم من الاتساخ » . ويقول نفس الرحالة في موضوع آخر (ص 119) : « والنساء ايضا يرتدين الحيك ، ولكن بشكل آخر مختلف عن شكل الرجال . فهن يشددنها الى الصدر بابازيم من الفضة يسمينها (بسيم) ويختفية Chetfia وبينهما سلسلة . ومعظم النساء يرتدين هذا الحيك فوق الجسم العاري . اما الفتحات فمن الجوانب ، واذا ارادت امراة ارضاع طفلها فانها

(1) . اعتقد وجوب كتابة عقد الرواء ، لان كلمة رواء تبدو لي انها تشير الى عقدة . راجع (الكالا) حول : Lazo de çapatos

تخرج حلمة ثديها من هذه الفتحة ، وهذا الوضع ملائم كل الملاءمة للطفل الذي تحمله امه على ظهرها ، وعلاوة على ذلك فان النساء هنا ذوات حلمات كبيرة للغاية ، ما دمن يافعات » .

ويخبرنا المؤلف نفسه بأن بعض النساء يرتدين:

1 ـ القميص ؛ 2 ـ القفطان ، 3 ـ المنسرية ،

4 ـ الحيك مع الحزام (1) .

وكلمة حيك او حائك ذكرها الرحالة لمبريير فى كتابه (رحلة الى مراكش ، ص 39 ، 293 ، 295 ، 386) الذي كتب كلمة حيك هكذا Haick . كما ذكرها علي بيك فى كتابه (الرحلات ، ج 1 ، ص 16 ، 29 ، 73 ، 80) الذي كتب الكلمة هكذا Hhaik وهناك عدة رحالين زاروا المغرب فى ايامنا هذه امثال ريلي (بوار تجارة السفن الشراعية الامريكية ، ص 407 ، 492) ، وجاكسون (تقرير عن مراكش ، ص 138)، وكابردى همسو (مرآة جغرافية وإحصائية للامبراطورية المراكشية ، ص 81) والعقيد سكوت (يوميات اقامة فى مخيم عبد القادر الجزائري ، ص 5) والليدي كروفنر رحلة بحرية فى البحر الابيض المتوسط خلال عام 1840) فتحدثوا عن هذا اللباس وكتبوه على هذه الصورة Haick, hayk, hhaik, haik » .

الخرقة

تشير هذه الكلمة الى الثوب ـ او الى الرداء الغليظ ـ الذى يلبسه الفقراء ـ ولاسيما المتصوفة منهم فى الشرق . ويقول المقري (تاريخ الاندلس ـ مخ غوتا ـ ص 201) عن احد المتصوفة انه كان : « بركة لابسي الخرقة ». وفى مخطوطة تتملكها مكتبة ليدن وتحتوي على عدة كنانيش خاصة بالمتصوفة (مخ فارسية ، 1038 ، ص 22) نجد : در كريبان خرقه نوشته بود يا عزيز يا ستار يا لطيف يا حليم در مهان خرقه نوشته بود يا صبور يا شكور يا كريم

---

(1) هذه الكلمة لا تكتب هكذا (بسيم) ولكن (ابزيم) والجمع بزائم ، وهي تشير بكل تأكيد الى كلمة اكراف الفرنسية . وقد راينا آنفا ان دييكو دى‌هيدو يتحدث عن (Hevillas) agrafes التي بواسطتها تعلق النساء الحيك ، وعلى ذلك فان بيدرو دي الكالا يترجم فى كتابه (مفردات عربية) كلمة Hevilla الى كلمة ابزيم . ويترجم دونباى فى كتابه (النحو المغربي العربي ص 82) كلمة Fibulae الى كلمة بزائم ، وتشير قواميسنا الى ان كلمة ابزيم تدل على كلمة Agrafe مع حاملها .

وانني اعتقد بوجوب كتابة هذه الكلمة (ختفية) خطفية ، بالطاء ، وليس بالتاء . وسأجعلكم تلاحظون ان حتف لا وجود له قط فى اللغة العربية ، وان خطف على العكس من ذلك معروف وشائع ، وان الاشتقاق بجانب افتراضي او زعمي . والحقيقة ان فعل خطف يعني Abriouit ، وان كلمة خطاف هي سنان حديدي معقوف فى نهايته صنارة ، ابزيم . وهناك كلمة عربية اخرى مشتقة من نفس هذا الاصل ، وهي ، مثل خطفية ، لا وجود لها فى القاموس . وأود ان اتحدث عن كلمة مخطاف .

يرى بيدرو (مفردات اسبانية عربية) ان كلمة مخطاف تقابل : (Anzuelo (garavato) garavato وتقابل كلمة مخطاف قطعة حديدية معقوفة لها صنارة صغيرة ، او هي الصنارة ذاتها . والواقع ان ابن بطوطة (الرحالة ، مخ دى كايانكوس ، ص 234) يخبرنا ان عبيد تجار الهند يحملون ما هو (عود غليظ له زج حديد وفى اعلاه مخطاف حديد فاذا اعيا ولم يجد دكانة يستريح عليها ركز عوده بالأرض وعلق حمله منه .

وكلمة مخطاف تعني كذلك عصا مسلحة من احدى نهايتيها بقطعة من الحديد المدبب المعقوف وتعني مرساة . راجع الكالا فى كلمة : Cayado de pastor عصا الراعي .

راجع كذلك دونباي فى كتابه (النحو المغربي العربي ، ص 103) .

يا عليم در دامن خرقه يا احد يا صمد يا فرد (1) .

لن اترجم النص لانه فى غاية الصعوبة ايجاد كلمات فرنسية مقابلة تماما لمختلف الصفات الالهية التى وردت فى هذا الكلام. ولكنني ساقتصر على ملاحظة انني يخيل الي وجوب ترجمة كلمة مهان بكلمتي (الثياب الدخيلة) . وستجدون لدى كلمة دلق معلومات وتعليمات اوسع عن ثوب المتاملين الشرقيين .

ويبدو ان كلمة خرقة تدل ايضا على : « نوع من رداء يستعمله البدو . لانني اقرا لدى ابن جبير (الرحلة ، مخ 320، ص 72 . 73) : فمن العجب امر هؤلاء المائرين انهم لا يبيعون من جميع ما ذكرناه بدينار ولا بدرهم انما يبيعونه بالخرق والعباءات والشمل . فأهل مكة يعدون لهم من ذلك مع الاقنعة والملاحف المتان وما اشبه ذلك مما يلبسه الاعراب ويبايعونهم به ويشارونهم » .

الخفاف

كانت الخفاف مستعملة فى عهد النبي محمد (ص) اذ يخبرنا النووي (تهذيب الاسماء ، ص 33) ان الرسول كان هو نفسه يلبس الخفاف . ونقرا فى صحيح البخاري (ج 2 ، مخ 356 ، ص 167) ان محمدا حرم على المسلمين ليس الخفاف اثناء الحج الا لمن لم يجد نعلين ، فقد سمح له بلبس خفين مع وجوب قطعهما اسفل من الكعبين (ولا الخفاف الا احد لا يجد النعلين فليلبس خفين وليقطعهما اسفل من الكعبين) .

وكانت الخفاف تلبس قديما فى مصر ، من قبل الرجال والنساء على حد سواء . فنحن نقرا لدى السيوطي (حسن المحاضرة ، مخ 113 ، ص 337) ان الخليفة الحاكم بامر الله (منع الخفافين من عمل الاخفاف لهن (النساء) . والواقعة نفسها يحدثنا عنها النويري (تاريخ مصر ، مخ 2 ، ص 104) : منع الاساكفة من عمل الخفاف لهن وشدد فى ذلك. ونرى فى نص آخر لهذا المؤلف الاخير (تاريخ مصر ، مخ 2 ، ص 16) ان الخفاف كانت تلبس من قبل الرجال فى النصف الاول من القرن السابع الهجري ، ويخبرنا نص لابن اياس (تاريخ مصر ، مخ 2 ، مخ 367 ، ص 17) ان الرجال ايضا كانوا يستعملون الخفاف فى القرن الثامن الهجري . واستنادا الى قول المقريزي (وصف مصر ، ج 2 ، مخ 372 ، ص 350) فان الامراء والجنود والسلطان نفسه كانوا يلبسون اثناء حكم السلالة التركية (الجركسية) خفافا من الجلد البلغاري الاسود (2).

---

1) ان كلمة خرقة وجمعها خرق تعني كذلك : قطعة قماش . فانني اقرا لدى النويري (تاريخ مصر ، مخ 2 ، ص 204) « اعطاه ـ خرق كتان فرنجي مائتي ذراع . وفى كتاب الف ليلة وليلة (ط مكناكتن ، ج 1 ، ص 209) : « عمد الى الخرقة وعمل منها كيسا » . وفى الاحاطة باخبار غرناطة لابن الخطيب (مخ كايانكوس ـ ص 51) : « انه لم يجتمع عند احد من نظرائه ما اجتمع عنده من عين وورق ودفاتر وخرق وآنية ومتاع واثاث وكراع . وتعني كلمة خرقة نفس المعنى فى مالطة كما تعني علاوة على ذلك سروالا للصغار . راجع فاسيلي فى كتابه (قويميس مالطي ـ مج 279). ويسمى بائع الخرق بالخرقى . راجع المقريزي (وصف مصر ، ج 2 ، مخ 372 ، ص 354 ـ357). ويبدو ان ريسكه قد علق على هامش كتابه كوليوس بأن هذه الكلمة تدل على محفظة نقود . والحقيقة انني وجدت الكلمة مستعملة بهذا المعنى من قبل ابن بطوطة (مخدى كايانكوس ، ص 191) : « ومن عوائدهم فى يوم العيد ان كل من بيده قرية منعم بها عليه ان يأتي بدنانير ذهب مصرورة فى خرقة مكتوب عليها اسمه فيلقيها فى طست ذهب هنالك » .
وقد ذكر بيدرو دي الكالا فى كتابه (مفردات اسبانية عربية) صيغة اخرى من نفس الاصل تشير كذلك الى محفظة نقود الا وهي كلمة مخرقة .

(2) ان الجلد البلغاري كان ذائع الصيت . ويوسعكم مراجعة العلامة فريهن فى كتابه (اقدم تاريخ عربي عن بلغار الفولغا ، ص 8) حول هذا الموضوع. وماتزال الخفاف حتى ايامنا هذه مستعملة فى عدة اقطار من آسيا خصوصا فى بلاد الفرس ـ حيث حرفوا الكلمة فاصبحت Bhulkhal كما يخبرنا فريزر فى كتابه (رحلة انى خراسان ـ ص 69) . فهذا الرحالة الالمعي قد اصاب كل الاصابة فى ان اصل الكلمة الاصلية هي بلغار Bulghar .

وكانت الخفاف تلبس ايضا من قبل الرجال بعد فتح الاتراك لمصر ، ويؤيد ما ذهبنا اليه النص التالي من كتاب الف ليلة وليلة . فنحن نقرأ في هذا السفر (ط هابيخت ، ج 3 ، ص 248) ان الاميرة بدورا ، اخذت ملابس زوجها « فلبست الخف والمهماز » . وحتى في ايام الحملة الفرنسية على مصر كانت الخفاف تلبس من قبل الرجال والنساء على قدم المساواة ، لاننا نقرأ في كتاب وصف مصر (ج 18 ، ص 109) : « كان الناس يلبسون الخفاف اذا ارادوا ركوب الخيل او اذا شاءوا الطواف بالمدينة لشراء ما يحتاجون اليه او لشؤون اخرى ، وهذه الخفاف هي نوع من النعال ، وتصنع من الجلد المراكشي الاحمر او الاصفر ، ويستعملها الرجال كما تستعملها النساء » . ولم تعد الخفاف تلبس في مصر في ايامنا هذه من قبل الرجال ، اما النساء فما زلن يلبسنها كما نرى شاهد ذلك في كتاب (المصريون المحدثون) تأليف لين . وسنذكر بعض التفصيلات عن هذه الخفاف النسائية . يروي المقريزي (وصف مصر ، ج 2 ، مخ 372 ، ص 359) عن وجود سوق في مصر للاخفاف (سوق الاخفافيين يباع فيه الاخفاف للنسوان ونعالهن) . وفي عهد كتاب الف ليلة وليلة ، اي بعد غزو الاتراك لمصر ، يبدو أن خفاف سيدات القصور وخفاف الجواري والاماء العائدات لسادة اغنياء مترفين كانت في غاية الروعة والبهاء . ونحن نقرأ في الكتاب الذي فرغت الآن من ذكر اسمه (ط منتكازا ، ج 2 ص 56) : وقفت عليه امراة بخف مزركش بحاشية قصب وشريط لاعب (1)

ونجد في موضع آخر (مكناكتن ، ج 1 ، ص 425) ان رجلا اشترى لجاريته الراحلة في سفرة (خفا مزركشا بالذهب الاحمر مرصعا بالدر والجوهر) . (وينبغي ان نلاحظ أن كلمة خف تعني فردتين في هذه النصوص) . ويبدو ان الصرف على هذا الجزء من الهندام قد اخذ بالتناقص فيما بعد . فنحن نقرأ في قصة غليوم ليتعرف (رحلات برية في القرن التاسع عشر، مج 1، ص 171) : « ان النساء في القاهرة يلبسن الانعلة الجلد كما يلبسها الرجال » . ونطالع في قصة منتكازا (رحلة الى اورشليم والشرق ، ص 90) ان النساء يلبسن انعلة من مختلف الالوان تصل الى منتصف سيقانهن او الى اعلى من ذلك » . ويقرر لين في كتابه (المصريون المحدثون ، ج 1 ، ص 63) ان الخفاف هي انعلة او احذية مصنوعة من الجلد المراكشي الاصفر » . ولم تعد سيدات مصر في ايامنا هذه ترتدي الخفاف الا اذا اردن الخروج من بيوتهن . ولكن هل كن يلبسنها في العهود الغابرة في منازلهن ؟ هذا ما يحملني على الاعتقاد به نص من نصوص الف ليلة وليلة (ط مكناكتن ، ج 3 ، ص 141) .

ويخيل الي ان داندیني (رحلة من جبل لبنان ، ص 48) في معرض حديثه عن طرابلس الشرق ينظر الى الخفاف ، حين يقول : « ان النساء هنا اذا اردن ان يمشين مشية مريحة في الدروب اثناء المطر والوحل فانهن يلبسن بواتين من الجلد المراكشي تصل الى ركبهن — وهن يشمرن عن ثيابهن من كل جانب — فيدرجن في كل مكان على رسلهن — دون ان تبتل ملابسهن او تتلطخ بالاوحال والاوضار » . ويذكر دارفيو كذلك في كتابه (مذكرات — ج 5): « البواتين المراكشية الجلد الصفراء التي تلبسها نساء حلب . ولدى بدو سورية تلبس الخفاف من قبل الرجال كما تلبسها النساء » . ويخبرنا دارفيو في كتابه (من فلسطين صوب الامير الاعظم ، ص 208) ان الامراء والشيوخ يركبون الخيول وهم منتعلون بواتين صغيرة من الجلد المراكشي الاصفر — بدون جوارب — وهذه الانعلة خفيفة ومخصوفة من الباطن — وهم كذلك يستطيعون المشي بها على الاقدام بل حتى العدو دون ان يستطيع الماء اختراقها» . وبعد ذلك (ص 211) : « ان النساء يدرجن حافيات الاقدام على الابسطة والسجاجيد — حين يكن في منازلهن — وهن يلبسن خفافا متغضنة لدى بروزهن من مساكنهن » . انظر المرجع السابق، ص 3) . ونقرأ في كتاب (رحلة من اليمن السعيدة، ص 83 ، 1716 امستردام) : « ان نساء مخا يلبسن خفافا صغيرة معمولة من الجلد المراكشي » . ويذكر علي بيك (الاسفار ، ص 106 ، ج 2) الخفاف النصفية (Half boots), Demi-bottes الجلدية الصفراء التي تلبسها نساء مكة .

---

(1) راجع بشأن هذا النص الملاحظات الصائبة للعلامة فليشر في كتابه المعنون : (De glossis Habichtianis) — ص 26)
اما عن فعل زركش المستعمل بمعنى زين — فراجع احدى التعليقات الواردة في كتابي هذا .

ويقص علينا اوليفييه فى كتابه (رحلة الى الامبراطورية العثمانية ومصر وفارس ، ج 4 ، ص 382) : « ان نساء بغداد يمشين حافيات الاقدام فى بيوتهن ـ وهن يلبسن الانعلة لدى خروجهن من منازلهن » . ويقول فريزر فى كتابه (رحلات الى كردستان وبلاد ما بين النهرين ، ج 1 ، ص 278) ان نساء بغداد يلبسن جزمات صفراء » .

Des Bottines jaunes

ويقول ابن بطوطة (الرحلة ـ مخ دي كايانكوس ـ ص 83) فى معرض حديثه عن نساء شيراز « وهن يلبسن الخفاف » (1) .

وسأفرغ من هذه المقالة مختتما بحثي هنا كذلك بايراد كلمات نفس الرحالة ـ الذى عبر عن مكنوناته ـ وهو يجتاز جدود الامبراطورية البيزنطية ـ للوصول الى استراخان ـ بهذه العبارة : « وذلك فى اشتداد البرد . وكنت البس ثلاث فروات ـ وفى رجلي خف من صوف وفوقه خف مبطن بثوب كتان وفوقه خف من البرخالى وهو جلد الفرس مبطن بجلد ذئب » . ص 153 . ولا شك ان البرخالي هو الجلد البلغاري .

التخفيفة

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

أن فعل خف فى الصيغة الثانية ، يعني بصورة عامة خلع الملابس الثقيلة ولبس الملابس الخفيفة ، وبصورة خاصة ملابس الليل . فنحن نقرأ فى كتاب الف ليلة وليلة (ط هابيخت ، ج 1 ص 63) : « وهو شاب مليح مخفف اللباس بقبع كشف وقميص بلا سراويل » . ونطالع فى موضع آخر (ج 2 ، ص 116) : « خففي من لباسك كما كنت فى ليلة دخل عليك » . وفى طبعة مكناكتن (ج 1 ، ص 193) ورد فى هذا المكان : « وامر ابنته ان تخفف نفسها كما كانت ليلة الجلاء فى الخلوة (2) . وبعد ذلك نقرأ فى الف ليلة وليلة (ط مكناكتن ، ج 1 ص 225) : « خففوا ما عليها من الملبوس » . ونفس الفعل يعني فى الصيغة الخامسة نزع ثيابه الثقيلة . فنحن نقرأ فى المطمح لابن خاقان (مخ سان بطرسبورك ، ص 67) : « فأمره بخلع ثيابه والتخفف من جسمه » . واشتقت كلمة تخفيفة من فعل خف الذى ، كما نرى بسهولة ، يذكرنا بالصيغة الثانية للفعل . وقد سبق للعلامة كاترمير (ملاحظات ومقتبسات ، ج 8 ص

---

(1) اذا وجدنا لدى اولياريوس (جولة فى موسكوفا وبلاد التاتار وفارس ، ص 817) النص التالي عن الاحذية الفارسية : « ان الاحذية التى تسمى Kefs مدببة الانف للغاية ومنخفضة القاعدة والاعقاب كثيرا ـ بحيث يمكن لبسها ونزعها بسهولة ـ كما نفعل بمداساتنا Nos pantoufles اذا وجدنا هذا النص فينبغي الحذر من حسبان كلمة Kefs هي كلمة خف العربية مع S ـ علامة الجمع لدى الفرنسيين . على ان نتذكر ان هيئة الخفاف بفارس تختلف عن هيئة الخفاف المستعملة عند العرب . وان كلمة Kefs التى ذكرها اولياريوس هي الكلمة الفارسية كفش ـ التى كتبها كامفر فى كتابه (تحف نادرة ، ص 128) كذلك هكذا كفس ـ مع س بدلا من ش .

(2) تعني كلمة خاوة غرفة صغيرة ، مقصورة ، صومعة ، جوسقا فى بستان . وفى القصة الانجليزية التى عنوانها (الفصل الثامن عشر) مغامرات حاجي بابا ، هذه الكلمة ترجمتها Private room . ونقرأ فى رحلة ابن بطوطة (مخ دى كايانكوس ، ص 74) : وبها مدرسة عظيمة حافلة فيها نحو ثلاثمائة خلوة ينزلها الغرباء القادمون لتعلم القرآن » . والحديث عن واسط . وبعد ذلك (مخ ، ص 102) وهو يتحدث عن ناسك . يقول : « وله خلوة متصلة بالمسجد فرشها الرمل لا حصير بها ولا بساط » . وفىموضع آخر (ص 92) وهو يتكلم عن حمامات بغداد : « وفى كل حمام منها خلوات كثيرة ». وفى المطمح لابن خاقان (مخ سان بطرسبورك ، ص 67) : « وحضر عند الحكم المستنصر بالله يوما فى خلوة له فى بستان الزهراء على بركة ماء . ولكن كلمة خلوة تشير بصورة خاصة الى مقصورة العرس . راجع مثالا آخر لهذه الكلمة للمقريزي (لدى دي ساسي ، طرائف عربية ، ج 1 ، ص 365) . والكلمة نفسها تشير كذلك الى عملية الوصال . فنحن نقرأ لدى ابن بطوطة (مخ. ص 227) بأن نساء القبائل الهندية « مشهورات بطيب الخلوة ووفور الحظ من اللذة » . وبعد ذلك (ص 230) : « ولهن من طيب الخلوة والمعرفة بحركات الجماع ما ليس لغيرهن » .

295) ان لفت انظار المستشرقين الى هذه الكلمة ، بايراده عدة امثلة مقتبسة من مؤلفات مؤرخين عرب من مصر . وقد ظن هذا العالم الجليل وجوب اثبات ان كلمة تخفيفة تشير الى ضرب طاقية Bonnet . وهذا الامر لا يبدو لي وكأنه فى غاية الصحة ، بل انني افترض ان كلمة تخفيفة تشير الى عمامة خفيفة، على نقيض العمامة الضخمة الكبيرة الحجم ، التى كان يتعمم بها الفقهاء والتى كانت تسمى عادة عمامة. والواقع انني اكاد اعثر دائما على كلمة تخفيفة مستعملة ضد كلمة عمامة . وقد سلف لنا ان راينا (ص 85) ان قاضيا ارغم على حضور قصف لدى الامير ، قد تجرد من ملابسه التى كانت تليق بمنزلته ، فتعمم بتخفيفة ، بدلا من عمامته الضخمة، بوصفه فقيها (وتعمم بتخفيفة) . ونقرا فى تاريخ مصر لابن اياس (مخ 367 ، ص 37) : « قلع تخفيفته ولبس عمامة وجوخة من فوق ثيابه » . وفى تاريخ مصر للنويري (مخ ، ص 58) : « وقلع شاش التشريف والكلوتة وضرب بهما الارض ولبس تخفيفة » . ونجد فى الف ليلة وليلة (ط مكناكتن ، ج 3 ، ص 162) العبارة التالية : « قالت له اخلع ثيابك وعمامتك والبس هذه الخفيفة » . وانني لا اتردد فى احلال التخفيفة محل الخفيفة ، فاترجم النص على انه : « قالت له اخلع ثيابك وعمامتك والبس هذه التخفيفة » .

الخفتان او القفطان (القفطان)

انني اجهل زمان تبني العرب لهذه الكلمة التي هي من ارومة اجنبية ، واجهل كذلك عصر انتشار هذا اللباس الذي تشير اليه هذه الكلمة لدى ابناء هذا الشعب وبناته . فان محمدا (صلى الله عليه وسلم) لم يستعمل القفطان . ويبدو ان الكلمة نفسها كانت مجهولة فى عهد الرسول . ومع ذلك فنحن واجدون هذه الكلمة لدى المؤلفين القدامى نسبيا ، امثال المسعودي : (لدى كوزكارتن ، طرائف عربية ، ص 108) . وكان خفتان الخليفة المقتدر مصنوعا من الحرير ، ومكفتا بالفضة ، ومن معمولات تستر ، وكان خفتان ابنه محوكا من الحرير (او من الديباج) الرومي ، ومزركشا برسوم ونقوش وصور (المرجع السابق) .

وكان للطراز المستحدث تاثير على هذا اللباس ، كما سنرى . ولنستهل بحثنا بافريقية الشمالية . لقد اعرب دييكو دي هيدو عن الموضوع فى كتابه (خطط مدينة الجزائر ، مج 1 ، 2 ، ص 20) فى معرض حديثه عن اتراك مدينة الجزائر على هذه الصورة : « ويرتدون عادة فوق هذا اليلك Jalaco ؛ رداء (Una ropa) يسمونه القفطان ، وهو مشابه لقمباز الكاهن Soutane لانه مفتوح من الجهة الامامية ، ومزرر بالازرار من ناحية الصدر (1) .

وهذا الرداء له كمان قصيران ، يصلان الى المرفقين ، وقد يتدلى حتى يبلغ منتصف الساقين ، بل قد يهبط اكثر من ذلك . وعلى كل حال فهو يتجاوز الركبة . وهو على الوان شتى : فالاغنياء يتخذونه من الاطلس ، والسيدات يفصلنه من القطيفة والمخمل ، ومن انواع اخرى من الحرير . وهذا الرداء ، شانه شان اليلك Jalaco (الصديري) لا ياقة له ، بحيث ان التركي مكشوف الرقبة على الدوام . ويتحدث دارفيو D'Arvieux كذلك فى كتابه (مذكرات ، ج 5 ص 283) عن قفطان الاتراك فى مدينة الجزائر الذي يلبسونه فوق الصديري ، فيقول : « ويلبسون فوقه سترة من الجوخ تدعى قفطانا . وهذا القفطان يشبه لدينا Un juste-au-corps (2) فله طوله

---

(1) نقرا دائما ، نتيجة خطا مطبعي متصل ، فى كتاب دييكو دى هيدو-كلمة Tafetan وقد تناول التشويه هذه الكلمة اكثر فاكثر من قبل الطباعين فى هذا الكتاب الممتع : (يوميات رحلات دي مونكوني ، 1647 ـ 1648) حيث نجد فى (ج 1 ، ص 279 ، 282) كلمة Cafferan دائما . ففي هذا الموضع يتحدث دى مونكوني عن موكب الـ Casena . ولا بد ان هذه الكلمة ليست سوى الخزانة Le Hazna التي ذكرها تيفنو فى كتابه (قصة رحلة الى المشرق ، ص 277) . او هي خزينة المولى الاعظم المرسلة الى القسطنطينية من قبل باشا مصر . وعلى هذا طال الحديث فى نص تيفنو الاخير عن القفاطين . ولا مشاحة فى ان دى مونكوني قد اخطا فى ايراد كلمة Cafferan بدل كلمة Caffetan فى يومياته .

(2) وردت الكلمة فى قاموس لاروس هكذا موصولة : Justaucorps بمعنى لباس يتدلى حتى الركبتين ويشد الجسم شدا . (المترجم) .

كما له تفصيله. وهو مفتوح من القبل Par le devant ليدع الصديرية تظهر ، وهي دائما من لون مختلف . وهم لا يوصلونها الا نحو وسط الجسم ، حيث يشدونها بمنديل بالغ السعة بحيث انه يبلغ حقو الانسان » .

ونحن نقرأ في كتاب هوست (اخبار من مراكش وفاس ، ص 115) : « ويرتدون فوق القميص قفطانا او سترة مزودة احيانا بكمين قصيرين او طويلين ، على هوى مزاج اللابس ، وهي (تشبه الفرجيات Feredges التركية) ، ولكن هذا الثوب لا كمين له في معظم الحالات . وعادة تكون هذه الاثواب مصنوعة من الجوخ الاحمر او الازرق او الاخضر . وبعض هذه القفاطين مؤلفة من مختلف الالوان التي تكون اما مربعة واما مخططة . وبعض الاشخاص لهم قفاطين مطرزة بالذهب ، ولو ان هذا التصرف يعد انتهاكا لاوامر الدين . والقفطان لا يتعدى الركبة الا قليلا ، وهو ليس طويلا مثل الدوليمان التركي Doliman وازرار هذا الثوب الصغيرة متقاربة من بعضها . وبوسعنا رؤية هيئة هذا الثوب في اللوحة الخامسة عشرة ، الصورة الاولى والثالثة » . ولا بد ان دييكو دي توريس قد تحدث في كتابه (قصة الشرفاء ، ص 85) حين قال ان رجال مراكش يرتدون : « سترات من الجوخ الملون تصل الى الركب » . واعتقد ان العبارات التالية لمارمول تعني ايضا القفاطين . فهو اذ يتحدث عن ثياب مراكش يقول ، في كتابه (وصف افريقيا ، مج 3 ، ج 2 ، ص 33) : « يرتدي عوام الناس الآخرون ثيابا اقل كلفة ، ولكن على نفس النمط . فالكثيرون منهم يلبسون سترات من الجوخ الملون (Unas jaquetas) وهي مزررة ، ومطوية اربع طيات (De quatro faldas) ولها اكمام قصيرة » . ويقول في موضع آخر (ج 2 ، ص 102 ، مج 2) متحدثا عن سكان فاس : « يرتدي العمال والرجال الآخرون من سواد الناس ، ولا سيما الجنود المشاة ورماة البنادق ورماة السهام الخيالة، سترات، مثنية اربع ثنيات (De quatro haldas) ، قد تصل الى ركبهم » .

وفي انمرجع نفسه كذلك : « يرتدي التجار والصناع البسة من الجوخ ، سوداء خالصة السواد احيانا او زرقاء ، او من لون آخر ، وهم يلبسون صايات (Los sayos) بالغة الطول ، تنزل الى منتصف سيقانهم ، مطرزة من الباطن (Cosidos a girones) واكمامها نصف اكمام قصيرة لا تصل ابدا الى اعلى المرافق الا قليلا . ويتحدث دابر ايضا في كتابه (رحلة الى اقاليم افريقيا الشمالية ، مج 1 ، ص 240) عن قفطان من الجوخ كان يرتديه احد السفراء الذين جاءوا الى امستردام عام 1659 . راجع كذلك ، حول ارتداء القفطان في مراكش (سانت اولون ، الحالة الراهنة للامبراطورية المراكشية ، ص 90) . وانظر كرابر دي همسو في كتابه (مرآة ، ص 80 ، 81 الخ). والقفطان في طرابلس الغرب رداء طويل مطرز من القبل ومن الكمين . راجع النقيب ليون ، في كتابه (اسفار في الشمال الافريقي ، ص 6) . وترتدي النساء القفاطين في مراكش وفي فاس . فنحن نقرأ في كتاب هوست (اخبار من مراكش ، ص 119 ، الخ): « ترتدي بعض النساء نوعا من قفطان فوق القميص ، شبيه كل الشبه بقفطان الرجال » . ويخبرنا لمبريير في كتابه جولة في مراكش (ص 386) ، وقد اتيحت له بوصفه جراحا فرصة مخالطة حريم امبراطور مراكش ، ان قفطان النساء ثوب واسع لا كمين له ، وهو يتدلى حتى يبلغ القدمين او يكاد ، ويصنع طورا من الحرير والقطن ، وتارة من الديباج .

اما القفطان المصري فيختلف كثيرا عن قفطان افريقيا الشمالية . فانظروا كيف يصفه لين في كتابه (المصريون المحدثون ، ج 1 ، ص 39 – 41) : « انه سترة طويلة من القماش الحريري والقطني العامر بالخطوط . وهذه الخطوط قلما تكون خالصة بنفسها بل انها على العموم مزينة بالرسوم او بالازهار . وهذه السترة تتدلى حتى تبلغ كعب القدم ، ولها كمان طويلان ، يتمديان نهاية الاصابع ببعض العقود ، ولكنهما مشقوقان فوق المعصم قليلا ، او نحو منتصف الذراع، بحيث ان اليد تبقى مكشوفة على العموم . ومع ذلك ، ففي حالات الضرورة ، يمكن تغطية اليد بالكم : ذلك لان التأدب يقضي ستر اليدين امام شخص من الطبقة العليا » .

وها انني اقرأ في قصة هيليمريتش (تقرير حقيقي موجز عن رحلات ، ص 393) ان رجال القاهرة يرتدون تحت اللباس الذي افترضه الجبة « سترة (Ein wammes) من القماش الحريري ، المتعدد الالوان المختلطة بعضها ببعض . اما كما هذا الرداء فطويلتان لغاية ، بغية استطاعة شبكهما على قبل الجسم » . ويبدو ان القفطان كان في ايام نيبور (رحلة الى البلاد العربية ، ج 1 ، ص 152) يتجاوز الاقدام . وقد وصف الكونت دي شابرول القفطان في كتابه (وصف مصر ، ج 18 ، ص 138) على هذا المنوال : « انه

ثوب مفتوح من الجهة الامامية ، وله كمان واسعان بافراط ، وهو يلبس فوق المشد Le corset .

اما ثوب نساء مصر الذي يشبه كثيرا قفاطين الرجال فلبس اسمه قفطانا بل يدعى يلكا Yelek . واما قفطان مصوغ فيشبه كل الشبه قفطان افريقيا الشمالية ، ولا يشبه القفطان المرتدي في مصر الا قليلا . فنحن نقرأ في رحلة روبل (رحلة الى الحبشة، ج 1 ، ص 119) : « والفرد هنا يرتدي فوق هذا القميص قفطانا (Leibrock) من القطن المدبج بالحرير ، وهو يتدلى حتى يبلغ ربلة (او بطة) الساق، ولا كم له ، ويشد حول الجسم بشريط دقيق من الكتان . وتقع على القفطان في الساحل السوري ، وهو في نظر دارفيو (مذكرات ، ج 1 ، ص 353) كساء من الحرير الابيض الموشى » . ويرتدي بدو سورية كذلك القفاطين ، او هم على الاقل كانوا يلبسونها ايام زار المستشرق الذي ذكرته توا ديار الشرق . ويقول في كتابه (رحلة من فلسطين صوب الامير الاعظم ، ص 206) ان امراء وشيوخ البدو يتخذون لباسهم الشتائي القفطان المصنوع من الاطلس او من الحرير المتموج الموار Le moire على هيئة قمباز الكاهن الذي يبلغ منتصف الساق ، وله كمان واسعان » . وبعد ذلك (ص 210) يخبرنا ان النساء البدويات لهن ايضا قفاطين مصنوعة كالقمصلات يتزملن بها في الشتاء ويصل طولها الى الارض . وهن يشمرن عن اقسامها الامامية ويدسسنها في اطراف الحزام ، لتحقيق غرضين هما المشي بحرية داخل المنزل وابراز التطريزات ، وهي على هيئة الازاهير الظاهرة على القمص والسراويل » . ويقول اخيرا في موضع آخر (ص 211) : « يلبس العرب بصورة عامة قفطانا من النسيج القطني الغليظ » . واذا آمنا بما يقوله علي بيك في كتابه (اسفار ، ج 2 ، ص 106) فان نساء مكة يرتدين « قفطانا من القطن الهندي » .

ويعلمنا كيرورتر في كتابه (رحلات الى جورجيا وبلاد فارس وارمينيا وبابل القديمة، ج 2، ص 226) ان شعب Kanaki (خانقين ؟) على ديالى ، في الشمال الشرقي من بغداد يرتدي : « قفاطين واسعة ذات اكمام عريضة » .

وبالرغم من ان المؤلفين القدامى قد رسموا هذه الكلمة هكذا (خفتان) ، فان لفظة (قفطان) يبدو انها هي الشائعة الاستعمال منذ عدة قرون : ولعل اسم هذه الكلمة قد تحور بعد فتح الاتراك لمصر . وان كلمة قفطان وجمعها قفاطين ترد دائما في كتاب (تاريخ اليمن ، مخ 477 ، ص 177 ، 298 ، 319) كما اننا نصادفها كذلك في كتاب الف ليلة وليلة .

وقد رأينا آنفا ان هوست والكونت دي شابرول يكتبان هذه الكلمة على نفس الرسم ، ويكتبها دونباى في كتابه (النحو المغربي العربي ، ص 82) هكذا (قفطان) .

واخيرا فان لين في كتابه (المصريون المحدثون ، ج 1 ، ص 40) يؤكد ان الكلمة تلفظ (قفطان) ولكن الاشيع من ذلك لفظها (قفطان) .

الخفية

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس ـ بوصفها اسم لباس .

والرحالة كيربورتر في كتابه (اسفار ـ الخ ـ ج 2 ، ص 392) في معرض حديثه عن الزيديين في العراق العربي ـ قرب بغداد ـ يعرب عن افكاره بهذه الكلمات : « يراهم الراؤون بصورة دائمة ولا غطاء لهم الا الخفية Kaffia او الرداء المصنوع من قماش مخطط بخطوط عريضة للغاية . وهذا الرداء هو اللباس الاعتيادي (Domestic attire) الذي يبدو فيه هؤلاء الاعراب قرب منازلهم » .

ولما كان فعل خفى ـ في الصيغة الثانية وفي الصيغة الرابعة يعني ـ Abscondit, occultavit, celavit ويعني في الصيغة الاولى Abscondit se وان كلمة خفاء تعني Operimentum, tegimentum فانني اعتقد ان حفية ربما تعني كساء واسعا يغطي الجسم كله (1)

Un grand manteau qui couvre tout le corps

---

(1) سأحملكم على ملاحظة ان الصيغة الخامسة لفعل خفى لا وجود لها في القاموس ـ وانها تعني التنكر . فنحن نقرأ في كتاب الف ليلة وليلة (ط مكناكتن ـ ج 2 ـ ص 292) : « تخفيت انا وغلامي » . ويستعمل ابن الخطيب في كتابه (الاحاطة ـ مخ كابانكوس ـ ص 37) صيغة مماثلة للتعبير عن نفس الفكرة ـ لانه يستعمل فعل خاف (يخيف) . واليكم كلماته : « فصار متخفيا الى مالقة ليركب منها البحر الى جهة ابن مردنيش» . ولكن ربما ينبغي احلال متخفيا مكان متخيفا .

الخلـــي

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

واذا آمنا بما يقوله النقيب ليون فى كتابه (اسفار فى الشمال الافريقي) فان كلمة Kholi تشير لدى اعراب طرابلس الى نوع من البركان ، الذى يقف موقفا وسطا بين العباءة ، التي هي غاية فى الغلاظة ، وبين الجريد ، وهو غاية فى النعومة .

الخمـــر

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

ويعلمنا الرحالة بنكهام فى كتابه (اسفار في بلاد ما بين النهرين ، ج 1 ، ص 7) انه حمل سفتجته ونقوده واوراقه « مخفية فى حزام سري » Inner girdle يسميه سكان البلاد Khummr خمرا ، ويستعمل هذا الجزام بصورة عامة لهذا الغرض ، ما دام لا يمكن اضاعته ، ولا يمكن انتزاعه من المسافر اللهم الا اذا جرد تجريدا تاما من ملابسه » . وستذكرون ان فعل خمر يعني(Operuit, texit, etc)

الخمـــار

يبدو أن هذه الكلمة كانت معروفة معرفة وافية لدى الجوهري والفيروزابادي ، وانها لم تكن بحاجة الى الشرح والتفسير . ولكن يجب ان اعترف لنحس طالعي انني لم اقع على هذه الكلمة لدى مؤلف بمقدوره ان يشرحها لي شرحا صحيحا ، لذلك ليس فى طاقتي أن أخوض فى اى حديث عن نوع البرقع او الستر او الحجاب او القناع الذي تدل عليه هذه الكلمة . واذا لم اكن متوهما ، فان كلمة خمار لم يتطرق اليها المؤرخون العرب فى عصر النويري والمقريزي ومن لف لفهما . واستطيع ان اتجرأ فاقول مؤكدا عبث عملية التنقيب عنها فى كتاب الف ليلة وليلة .

وانني غير واجدها كذلك فى كتب الرحاليين الاوربيين الذين جاسوا خلال الشرق فى مختلف الحقب .

ويخيل الي ان هذا النقاب كان مستعملا فى عهد كوليوس ، لان هذا العالم يؤكد انه برقع امراة ، وانه يغطي مقدمة العنق ، ويستر الذقن والفم ويتعلق بقمة الراس » . ولما كان كوليوس لم يذكر لا طول ولا نوع قماش ولا لون هذا الستر ، فمن التطويح بالامانة العلمية ان نطبق على وصفه ـ الذي تعوزه الدقة ـ اقوال الرحالين الذين زاروا الشرق وقت زيارة كوليوس له (1) .

الخميصة

تشير هذه الكلمة ، حسب مذهب الجوهري ، الى ثوب مربع اسود ، مزين بحاشيتين مختلفتي اللون . ويرى مؤلف عيون الآثار (مخ 340 ؛ ص 189) ان الرسول (ص) ترك فيما ترك حين وفاته خميصة . وفى صحيح البخاري (ج 2 مخ 356 ، ص 168) نقرا الحديث التالي مرويا عن عائشة وعبد الله بن عباس : « لما نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم طفق يطرح خميصة له على وجهه. فاذا اغتم (2) كشفها عن وجهه . فقال وهو كذلك : لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد . يحذر ما صنعوا .

وفى الكتاب نفسه نرى الحديث التالي مرفوعا الى زوجة الرسول الحبيبة الى نفسه : قالت : « صلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فى خميصة له لها اعلام . فنظر الى اعلامها نظرة . فلما سلم ، قال : « اذهبوا بخميصتي (3) هذه الى ابي

---

(1) ان كلمة خمار تدل كذلك على : منديل يغطي به الانسان عينه . فنحن نقرا فى الكتاب المعنون مجمع الانهر (ط . القسطنطينية ، ج 2 ، ص 259) : ولا بأس ان يشد خمار اسود من الحرير على العين الرامدة او الناظرة الى الثلج .

(2) هكذا ، اذا لم اكن متوهما ، معنى الحالة الثامنة لفعل غم فى عبارتنا . راجع الصيغة السابعة فى القاموس .

(3) من المعلوم ان المشرع الاعظم للجزيرة العربية قد نهى عن اداء اي عبادة لاي بشر هالك ، هذه العبادة التى يجب ان تكون لله وحده .

جهم فانها الهتني آنفا عن صلاتي وايتوني بانبجانية ابي جهم بن حذيفة بن غانم من بني عدي بن كعب (1) .

ونقرا كذلك الحديث التالي ترويه ام خالد بنت خالد (ص 169 ، والحديث نفسه ص 170) . قالت ام خالد بنت خالد : « اتى النبي صلى الله عليه وسلم بثياب فيها خميصة سوداء . فقال : من ترون ان نكسو هذه ؟ فسكت القوم . فقال : ايتوني بام خالد . فاتي بها تحتمل . فاخذ الخميصة بيده فالبسها وقال : « ابلي واخلقي . وكان فيها علم اخضر او اصفر . فقال : يا ام خالد هذا سناه » (2) (وسناه بالحبشية حسن) . .

واخيرا فان انس (المرجع نفسه) يقص ما يلي : « لما ولدت ام سليم قالت : الي يا انس انظر هذا الغلام ولا يصيبن شيئا (3) حتى تغدو به الى النبي صلى الله عليه وسلم يحنكه (4) . فغدوت به فاذا هو في حائط وعليه خميصة حديثية . وهو يسم الظهر الذى قدم عليه فى الفتح . فاذا عارضنا هذه النصوص ببعضها ، وهي نصوص قيمة لا ارتاب فى انها تهم المستشرقين من عدة وجوه ، فاننا سنحصل من

---

(1) ان النووي فى كتاب (تهذيب الاسماء ، مخ 357 ، ص 241) يزودنا حول هذا النص بالتفصيلات التالية : « ابو الجهم ، ويقال له ابو جهم ، بحذف الالف واللام ، الصحابي رضي الله عنه بفتح الجيم واسكان الهاء مذكور فى المختصر والمهذب فى الخطبة فى النكاح ان فاطمة بنت قيس قالت: خطبني معاوية وابو الجهم . ومذكور فى المهذب ايضا فى باب ما يفسد الصلاة فى حديث الخميصة ذات الاعلام وانبجانية واسمه عامر وقيل عبيد بضم العين بن حذيفة بن غانم بن عامر بن عبد الله بن عبيد بفتح العين وكسر الباء بن عويج بفتحها ايضا بن عدي بن كعب القرشي العدوي — اسلم يوم الفتح وصحب النبي صلى الله عليه وسلم وكان معظما فى قريش ومقدما فيهم . قال الزبير بن بكار : كان ابو الجهم عالما بالنسب . وكان من المعمرين . شهد بنيان الكعبة فى الجاهلية. وشهد بنيانها فى ايام الزبير وفى (لا يوجد عنوان) انه توفي فى ايام معاوية . وهو أحد دافني عثمان بن عفان وهم اربعة : حكيم بن حزام الخ ..»
وانني اعترف بجهلي لماذا اضاف الرسول هذه الكلمات . فقد بحثت عبثا عن كلمة انبجانية فى كتاب تهذيب الاسماء للنووي ، حيث كنت اؤمل ان اجد بعض الملاحظات الخاصة لانارة هذا النص .

(2) فى الحكاية الاخرى لنفس الواقعة نجد سنا . وهي كلمة حبشية . وقد ولدت ام خالد فى الحبشة ، حسب تقرير عيون الاثر (لدى هاكر ، حصار منفيس والاسكندرية ، ص 71) .

(3) معنى ذلك انه لن يمص ثدي حاضنته .

(4) نقرا لدى النوري (تهذيب الاسماء ، مخ 357 ، ص 334) : فصل حنك . قوله فى المهذب فى باب العقيقة : يستحب ان يحنك المولود بالتمر . واستدل بحديث انس رضي الله عنه فى ذلك . وهو حديث صحيح . قال صاحب المطالع : التحنيك هو ان تمضغ التمرة وتجعلها فى فم الصبي وتحنك بها حنكة بسبابتك حتى تتخال فى حلقه . والحنك اعلا داخل الفم . والله اعلم . قال الهروي: يقال : حنكه وحنكه يعني بتخفيف النون وتشديدها . والله اعلم . ويجب علي ان الفت الانظار هنا ، بمناسبة هذه العبارة ، الى ان كلمة مستحب لقيض كلمة فرض ، وان الكلمة الاولى تعني : ما اصبح عادة عامة ، ما تبناه الناس بصورة شاملة ، دون ان تأمر به شريعة . فى حين ان كلمة فرض تعني ما امرت به الشريعة فى الحقيقة والواقع . وهناك عبارة للنويري (نهاية الارب ، مخ 373 ، ص 592) تبرهن بوضوح على هذا المعنى لكلمة مستحب ولكلمة فرض ، المعنى الذي سنبحث عنه فى معاجمنا ولكن دون جدوى . (والاحظ بصورة عابرة ان هناك كلمات قد حركت عن مواضعها فى مخطوطتنا النويرية من قبل الناسخ) . وان جملة : استدل بحديث تعني استخدم الحديث لاثبات ادعائه . وفى مخطوطة لكتاب ابن خلكان عائدة الى ويلمت ، هي الآن جزء من مكتبة معهد البلاد المنخفضة نجد فى الصفحة 22 : استدل بحديث ابي لبابة . وقد بحثت عبثا عن كلمة حريثية التى هي اسم مكان ، فى عدة كتب مطبوعة ومخطوطة . اما عن كلمة ظهر فراجع : كاترمير ، مذكرة حول الميداني ، ص 42) .

كلمة خميصة على النتيجة التالية : انها نوع كساء اسود ، يلبسه الرجال كما تلبسه النساء ، وهو مطرز الاعلام او الحواشي بالالوان المختلفة ، وقد يكون ذا علم واحد او حاشية واحدة . وهناك موضع اسمه حريثة يبدو انه كان مشهورا بحياكة هذا النمط من اللباس . وها انكم ترون فى النصوص التى اوردناها عدم ذكر اي شيء عن النسيج الذى تصنع منه الخميصة ؛ والجوهري نفسه لم يعلمنا اكثر مما اعلمنا سواه . وانني على جهل مطبق بالمصدر الذى استقى منه فريتاك علمه بصنع هذا الملبوس من الصوف والحرير . ترى اين وجد هذه المعلومات ؟ وعلى كل حال فلم يكن بالتأكيد هذا الكساء حريريا فى عهد محمد .

ويذكر الجوهري فى معجمه بيتا بوسعكم قراءته فى قاموس فريتاك يتضمن ان الشعر الاسود لفتاة يافعة يشبه خميصة .

الخنيف والخنيفة

كلمة خنيفة لا وجود لها فى القاموس .

وتشير هاتان الكلمتان الى رداء من الصوف الغليظ ـ يرتدى فى بلاد البربر

يقول مارمول (وصف افريقيا ـ ج 2 ، ص 4 ، مج 1) فى معرض حديثه عن البربر فى ولاية حاحة Héha اشد ولايات المملكة المراكشية غربية: انهم يرتدون كذلك المعاطف Des capotes grossières الغليظة ـ المعمولة من بعض القماش الصوفي الخشن الاسمر ـ وهم يسمون هذه المعاطف « Hañyfas » وفى موضع آخر (ج 2 ، ص 23 ، مج 3) : ترى (سواد الرجال فى مراكش) يرتدون المعاطف الخشنة الغليظة السمراء ـ ويسمونها Hañyfas . واخيرا (ج 2 ، ص 102 ، مج 3) ـ يقول المؤلف نفسه ـ وهو يتحدث عن عامة رجال مدينة فاس : « يرتدون المعاطف الصوفية ـ الخشنة الغليظة السمراء ـ المسماة Hañifas ويقول دابر فى كتابه (وصف حقيقي دقيق لاقاليم افريقيا ـ ص 240 ، مج 1) ضمن التفصيلات التى يوردها حول زي سفراء ملك مراكش وفاس ـ الذين قدموا الى امستردام عام 1659 : « ان السفير ابراهيم دق Duque كان يرتدي هو ايضا الحيك ـ ولكنه كان لابسا فوق هذا الثوب رداء واسعا ـ قد وصل الى حزامه ـ وهو مصنوع من شعر المعزي الاسود ـ او من الصوف ـ ومزود من جهته الخلفية بقبع كبوشي ـ ومزرر بازرار . وهذا الرداء الفضفاض المسمى فى اللغة العربية شنيفا Chanyf او شنيفة Chanyfa يرتدى عادة فوق الحايك .

شنيفة أم خنيفة ؟ شنيف ام خنيف ؟ . .

ولكن تتخذ الحيطة فى الشتاء لتغطية الراس الذي يعمم بالقبع الكبوشي . وحين يرتدي هذا المعطف على هذه الشاكلة يدعى (مغنس « Mugannes » راجع شكل هذا اللباس فى كتاب دابر (ص 240 ـ الشخص الثاني الايسر) . اما عن كلمة Mugannes فيجب علي ان اعترف ـ شئت ام ابيت ـ بانني اجهل كيف تكتب الكلمة فى المغرب . فحسب النطق الهولندي ينبغي ان تكتبها (مغنس) ـ وهي كلمة لا وجود لها فى القواميس واقعيا ـ ولكنها مع ذلك يمكن ان تكون قد استعملت من قبل سكان الشمال الافريقي

الـــدرع

يفسر العرب كلمة درع بكلمة قميص Chemise وانني اجهل ما يميز الدرع من القميص ، ولكن كلمة درع لا تنطبق الا على قميص المراة ، وكثيرا ما استعمل السفراء هذه الكلمة للاشارة الى المراة نفسها . وهكذا نجد فى قصيدة للمعتمد فى كتاب (قلائد العقيان للفتح بن خاقان ، ج 1 ، مخ 306 ، ص 8) (الكامل) :

ان نشرت تلك الدروع حنادسا
ملأت لنا هذي الكؤوس ضياء

لادراك معنى هذا البيت ، ينبغي ان نتذكر أن الشعراء يشبهون الغيد بالليل ، بسبب شعرهن الاسود ، ويشبهون الخمر بالنهار او بالشمس لبريقها ولالائها .

وعلى هذا الاساس اترجم هذا البيت :

« اذا كانت هذه الفتيات (حرفيا : هذه القمص) قد نشرت الظلمة ، فمقابل ذلك هذه الكؤوس قد ملئت لنا بالضياء » .

والشاعر نفسه يقول ايضا (المرجع السابق) (الكامل) :

قد رمت يـوم نزالهـم
الا تحصننـي الـدروع

« لقد رغبت بحماسة متقدة منازلة الاعـداء ، ولكن النساء (حرفيا : القمص) منعتني من ذلك ». وهكذا نرى من هذه العبارات ان كلمة الجمع (دروع) وليس فقط كلمة ادرع ، كما تحاول ان تحملنا علـى الاعتقاد معاجمنا، مستعملة للاشارة الى قمصان المراة، والواقع هو أن الشاعر ابن اللبانة (المرجع السابق ، ص 38) يستعمل هو ايضا كلمة الجمع (دروع) للدلالة على قمصان المراة (1) .

الـدراعـــة

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

واتباعا لراي دابر فى كتابه (وصـف حقيقـي دقيق لاقاليم افريقيا الشمالية ـ مج 2 ، ص 241) نرى ان كلمة Dhiraa دراعة تشير في المغرب ـ الى هذا الرداء الواسع العظيم المسمى كذلك بالازار ـ راجع هذه الكلمة .

الـدراعـــة

لقد اورد سيلفستر دي ساسي بعض التفصيلات عن هذه الكلمة فى كتابه (طرائف عربية ـ ج 1 ، ص 125) ونستخلص من عبارة القاموس ـ التى استشهد بها هذا العالم ـ ان الدراعة قديما لم تكن تعمل الا من الصوف . ويعلمنا المقريزي (المرجع السابق) ان اللباس هو الذى كان يميز الوزراء من بقية ضبـاط القلم او العدالة . وهذا المؤلف يصف الدراعة بانها مفتوحة من الجهة الامامية حتى اعلى القلـب ومزررة بأزرار وعرى . ونحن نقرا لدى نفس المـؤرخ فـى كتاب سيلفستر دي ساسي (ج 1 ، ص 50 . النص العربي) ان الخليفة الحاكم بأمر الله كـان يلبـس الدراعة المصنوعة من قماش احادي اللون .

ونجد لدى ابن خلكان (وفيات الاعيان ، ج 1 ، ص 231) عبارة رائعة للغاية ـ عن حيـاة الوزيـر المغربي . فهذا الرجل ـ المصري المولد ـ كان قـد هجر وطنه ـ لانه كان يخشى الحاكم ـ الذى كان قد اعدم اباه وعمه واخوته . فهام على وجهه متنقلا من بلاط الى بلاط ـ حتى نصب وزيرا من قبل الاميـر البويهي مشرف الدولة ـ ولكن ابن خلكان يضيـف انه لم يتلق لقب شرف ولا خـلع ـ ولم ينقطـع عن ارتداء الدراعة (وقلد الوزارة من غير خلع ولا لقب ولا مفارقة الدراعة) . ويقول البارون دي سلان فى كتابه عن ابن خلكان (ج 1 ، ص 455) : بانه لا يفهم لماذا كان المغربي مرغما على ارتداء الدراعة بصـورة دائمة ... ينبغي ان نعترف بأن المسألـة بالغـة الغموض بحيث يتعذر تاويلها ـ ما دمنا غير واجدين فى اي مكان كان وصفا لزي وزراء السلالة البويهية . ولما كانت الوقائع تعوزنا ـ فأسمح لنفسي باخضاع تخميني لحكم اصلان المستنير . اذن فانني مفترض ان الدراعة لم يكن يرتديها وزراء السلالة البويهيـة ـ وان مشرف الدولة ـ حين ارغم المغربي على ارتداء هذا اللباس على الدوام ـ اراد ان يؤكد على اعتباره اجنبيا بصورة مستمرة (بوصفه وزيرا مصريا) ـ فلم يمنحه ثقته التامة ـ ولم يعتبره أحـد رعايـاه المولودين فى ولاياته .

وحسبما يقول مؤلف كتاب مسالـك الابصـار (تعليقات ومقتبسات ، ج 13 ، ص 216) ان الدراعة كانت ترتدي فى الهند من قبل القضاة والادباء ـ كما كانت ترتديها جماهير الشعب .

ويرد لدى النويري (تاريخ مصر ، مخ 2 ، ص 144) ذكر (دراعة بنفسجي) ـ وكذلـك يفعـل المقريزي (تاريخ السلاطين المماليك ، ج 1 ، ق 1 ، ص 149) . وكانت الدراعة مستعملة فى الاندلس . فنحن نجد لدى المقري (تاريخ الاندلـس ـ مخ دى غوتا ـ ص 373) ان عـرب الاندلـس قد اتخـذوا (الدراريع التى لا بطائن لها) ازارا باشـارة مـن زرياب ـ كما نجد فى موضع آخر لدى المؤلف نفسه (مخ 86) ان لباس الشرف ـ الذى منحه الحاكم الثاني الى اوردونيو الرابع ـ كان يتألف من (دراعة منسوجة بالذهب) ومن برنس .

ونحن ما زلنا واجدين هذا الثوب فى مدينـة الجزائر . فان دييكو دي هيدو يتحدث فى كتابه المعنـون (خطـط مدينـة الجـزائـر ج 8 ، مج 2) : « يرتدي كثير من النـاس قميصـا آخر من الكتان المرسل ـ بدلا من هذه الغلالة ـ وهو

(1) لقد تعسف المستشرق الكبير حتى ضل السبيل (المترجم) .

طويل ـ مفرط فى السعة ـ مغرق فى البياض ويحمل اسم الدراعة Adorra وفى موضع آخر (ص 27 ، مج 2) يقول المؤلف نفسه ان النساء العربيات فى هذه المدينة يرتدين فوق اقمصتهن : القميص المفرط فى السعة والفضفضة ـ الدقيق للغاية ـ الابيض الى ما لا نهاية ـ الشبيه بذلك القميص الذى يرتديه ازواج هؤلاء النسوة المسمون بلدي Baladis او من يدعون بالحضر ـ والذين تحدثنا عنهم آنفا ـ وهن يسمين هذا القميص دراعة Dorat او الدراعة Adorat (1).

ويؤكد ابن بطوطة (الرحلة ـ مخ دى كايانكوس ـ ص 106) ان سكان مقدشرا (راجع خرائطنا عن الساحل الشرقي الافريقي) يرتدون : « دراعة من المقطع المصري معلمة » (2) .

واخيرا فانني اود الفات نظركم مرة اخرى الى وجود من كانوا يلبسون عدة دراعات بعضها فوق بعض . فنحن واجدون فى تاريخ العباسيين

---

(1) اغتنم هذه الفرصة لاناشد المستشرقين ـ ما اذا كانوا يعرفون كلمة عربية ـ لها جرس لفظة Dorre وتدل فى الوقت نفسه على الجوخ الاصفر . فانني اقرا فى قصة رحلة (فان خيستلا ؛ ص 31) ان المغاربة : « يرتدون عادة ثيابا طويلة من النسيج الابيض ـ ذات اكمام واسعة ـ وبصورة عامة لا احزمة لها ـ والكثيرون منهم يلبسونها ايضا على مختلف الطرز ـ ومتنوع الالوان ـ كالاحمر ـ والاخضر الفاقع ـ والازرق والـ Dorre اي الجوخ الاصفر » .

(2) تدل كلمة مقطع على الكتان ـ ذلك لان بيدرو دي الكالا فى كتابه (مفردات اسبانية عربية ، يفسر هاتين الكلمتين Glanda lienco بانهما تونسي ومقطع وجمعه مقاطع ـ ويفسر Avala (aube) بقميص من مقطع . ويعتبر ابن الطيب فى كتابه (الاحاطة ـ مخ دى كايانكوس ، ص 14) ان المقاطع النتوسية من بين الالبسة التي يرتديها الغرناطيون . وينبغي احلال كلمة التونسية محل كلمة النتوسية ـ وترجمتها : « اقمشة الكتان التونسية » . وقد كانت مدينة تونس مشهورة بالكتان الذى يصنع فيها ـ واليكم ما نقرا حول هذا الموضوع فى كتاب مارمول (وصف افريقيا ؛ ج 2 ، ص 241 ، مج 1) : « ان معظم سكان مدينة تونس هم من الحاكة ـ وينسج فى هذه المدينة افخر الكتان الموجود فى افريقيا ـ لان نساء تونس يغزلن الكتان غزلا فى غاية الدقة والنعومة ويبرمنه برما لا مثيل له . ومن هذا الكتان تحاك هذه العمائم المترفة (Tocas) التي تدعى Tunecis (de Tunis) (من تونس) ـ وهي مرغوب فيها بجنون لدى المغاربة » . وهذه العمائم المنسوجة من كتان تونس ـ لم تبق مجهولة لدى شعراء اسبانيا المسيحيين . لاننا نقرا فى (مجموعة من اشعار المويسكيين ، ص 35) : « طاقية غامقة الخضرة ـ مع عمامة من النسيج التونسي » .

ونقرا فى موضع آخر (ص 164) : « Tocas tunecies ـ الدراريع التونسية » .

واعتقد انني وقعت على كلمة مقطع وجمعها مقاطع ـ بمعنى قماش من الكتان ـ فى كتاب مسالك الابصار . اذ اننا نقرا فى ترجمة كاترمير (ملاحظات ومقتبسات ـ ج 13 ، ص 200) ما يلي : « تبعا لما رواه لي سراج الدين عمر الشبيلي ان الثياب التي تجلب من الاسكندرية ومن بلاد الروس ترتدي بصورة خاصة من قبل اولئك الذين ينعم بها عليهم السلطان . اما الآخرون فان اقبيتهم واردیتهم مصنوعة من القطن الناعم . وتصنع من هذه المادة الثياب التى تشبه مقاطع بغداد » . واود ان الفت الانظار الى ان كلمة مقاطع لم تستعمل مطلقا بمعنى الاردية . ولعل النص هذا يعنيها : وتصنع به ثياب تشبه المقاطع البغدادية . ويجب ان اترجم كلمة ثياب هنا بقطع قماش آنفا (ص 1 ـ 22) وارى ان معنى هذه العبارة هو تصنع من هذه المادة قطع من القماش تشبه الاقمشة الكتانية البغدادية» . واود مرة اخرى ان الفت الانظار الى ورود كلمة (رفعة) هذه (المقاطع) La finesse مباشرة بعد ذلك اذا قورنت برفعة الاقمشة الهندية ـ وان هذه الاقمشة توازن بالموصلي (الموسلين) ـ وكل هذا ينطبق كل الانطباق على الاقمشة المصنوعة من الكتان .

للنويري ، مخ ، ص 190) « وفي هذه السنة امر المتوكل بأخذ اهل الذمة بلبس دراعين (دراعتين) عسليين (عسليتين) على الدراريع والاقبية » . وذلك عام 239 .

المدرع والمدرعة

يخيل الي ان هاتين الكلمتين تشيران الى ما تشير اليه كلمة دراعة بالذات ، ويرى القاموس ان المدرع والمدرعة يكونان دائما من الصوف . والحقيقة ان هاتين الكلمتين تدلان على لباس من الصوف الغليظ الذي لم يكن يرتديه الا العبيد او فقراء عامة الناس . فنحن نقرأ في كتاب القرطاس Le Kartas اط. تورنبر ، ص 6) ان عبدا كان يرتدي (مدرعة صوف) . ونجد في سراج الملوك للطرطوشي (مخ 70 ، ص 43) ان شخصا كان يرتدي شملة ومدرعة من الصوف ، دخل على الخليفة معاوية ، وانه زجر عنى انتهاكه للآداب المرعية . ويتحدث Al-Bikaï الذي كوزكارتن ، طرائف عربية . ص 58) عن نساء كن يرتدين المدارع الشعرية ، فيقول : (وعليهن مدارع الشعر) .

الدروزة ، الدروازة

لا وجود لهذه الكلمة الفارسية الاصل في القاموس .

ولكننا نقرأ للمقريزي او بالاحرى لابن سعيد (لدى فريتاك . طرائف عربية ، نحو ، تاريخ ، ص 145) : « وطريقة الفقر على مذهب اهل الشرق في الدروزة التي تكسل عن الكدر » .

يعني فقراء الاندلس الذين لا يجرؤ احد على لمس دروزاتهم لقدارتها (1) .

راجع دي كايانكوس في كتابه (تاريخ السلالات المحمدية في الاندلس . ص 114 وتعليق ص 404) .

الدفء ، الدفاء ، الدفية

لا وجود للصيغة الاخيرة في القاموس .

ان كلمتي دفء ودفاء تشيران الى لباس من الصوف او من الشعر ـ او من الفرو ـ يستعمل للوقاية من البرد . (راجع القاموس ـ ط كلكتا ـ ص 27) . اما في ايامنا هذه فان كلمة دفية مستعملة في مصر . فنحن نقرأ في وصف مصر (ج 18 ، ص 110) : « الدفية هي قميص كبير من البركان الاسود ـ الذي يستعمله اعيان السكان في قرية من القرى » . ويقول لين في كتابه (المصريون المحدثون ، ج 1 ص 45) : هناك افراد عديدون من الشعب يرتدون نوعا من الاردية ـ واحدها اوسع من العباية ـ وهو مصنوع من نسيج صوفي ملون بالسواد او بالزرقة الغامقة ـ ويسمونه دفية » .

الدقرار ، الدقرارة

يرى الجوهري والقاموس ان هذه الكلمة تشير الى ما يدعى بالتبان . راجع هذه الكلمة .

الدلق

يرسم سيلفستر دي ساسي في كتابه (طرائف عربية ـ ج ، ص 269 وفريتاك) هذه الكلمة هكذا : دلق . ويقول لين في كتابه (المصريون المحدثون ، ج 1 ، ص 346) ان الكلمة تكتب كذلك على هذه الصورة (دلق) . ولكن الناس يلفظونها بصورة عامة كما يلي (دلق) . ويعتقد ان كلمة دلق تستحق الاصطفاء . ولم اتبين العلة في الموضوع . انها دلق الكلمة الفارسية ـ وهناك وزن لقصيدة وردت في كتاب سيلفستر دي ساسي المذكور آنفا ، ج 2 ، ص 45 ، سطر 4 من النص العربي تبرهن بوضوح وقوة على ان كلمة دلق كانت تلفظ في قديم الزمان هكذا (دلق) بمقطعين ، وليس بثلاثة مقاطع .

والدلق هو لباس الفقراء والدجالين من الاولياء ـ ويرى السيوطي في (الطرائف ، ج 2 ، ص 317) ان القضاة والعلماء كانوا يرتدون دلقا واسعا لم يكن مشقوقا ـ بل كانت فتحته من فوق الكتف ـ ويلبس الخطباء دلقا مستدير الشكل اسود اللون ـ وهو اللون الخاص بسلالة العباسيين » . ويرى لين في كتابه (المصريون المحدثون ، ج 1 ، ص 346 ـ 373) وفي (الف ليلة وليلة ، ج 1 ، ص 139) ان الدلق هو ضرب من الرداء الطويل ـ المؤلف من خرق

(1) اذا لم يكن ثمة خطأ في هذه الكلمة ، فينبغي ان تنطق هذا النطق (تكسل) .

الجوخ المختلفة الالوان . وقد سبق ان قطعت على نفسي وعدا ـ حول كلمة خرقة ـ بالدخول هنا فى التفاصيل عن ثوب المتأملين ـ او عن اشباههم ـ وهم مجاذيب الشرق وبهاليله . واليكم ما وعدت به. فاننا نقرا فى قصة روجيه (الارض المقدسة ، ص 247) : « هناك نوع آخر من العباد يدعون قولي ؟ Quoueli بعضهم حليق الراس ـ وهم يرتدون اردية مؤلفة من الف نوع من الخرق والاسمال ومن مختلف الالوان ـ ولكنها نظيفة للغاية » (راجع الصورة 240 . وفى قصة ستوكوف المعنونة (رحلة الى المشرق ، ص 433 ـ 434) لدى وصفه القاهرة : « والخلاصة لا يوجد فى اية ولاية من ولايات تركية شعب مؤمن بالخرافات مثل شعب القاهرة ، القاهرة التى لا مثيل لها فى حشد هذا العدد الهائل من مشعوذي الاولياء والدراويش . فهناك تجد منهم من يتسكعون فى الدروب عراة كما ولدتهم امهاتهم ـ وهناك آخرون يرتدون جلود الاسود او النمور .. وانك واجد اولياء آخرين يلبسون الف نوع من الالبسة المختلفة المضحكة . وها انني اصادف شخصا لابسا اعجب ملبوس لا تستطيع ان تضحك من شيء اكثر مما تضحك منه ـ وهو يمشي على عكازتين يعلو بهما نحو قدمين ـ وقد الصق بجسمه رداء يصل الى ركبتيه نصفه مصنوع من كل انواع الجلود ـ والنصف الآخر من كل انواع الاقمشة المختلفة الالوان ـ وقد شد على وسطه حزاما من جلود الافاعي ـ وهذا الحزام لم يمنع ثوبه من الانفتاح لدى كل خطوة يخطوها وابانة عورته للسائل والمحروم ـ وقد شد عضوه التناسلي بحلقة ضخمة من الحديد » .

ونقرا لدى دارفيو فى كتابه (المذكرات ، ج 1 ، ص 209) : « يرتدي دراويش مصر ملابس غاية فى الغرابة : فملابس بعضهم حافلة بالخرق والاسمال البالية الملونة بكل انواع الالوان ـ وملابس الآخرين اردية مجللة بالريش الكثير ـ وهناك عراة كل العري ـ ولهم لحى وشعور شبيهة بأشواك القنافذ ». ويقول المؤلف فى موضع آخر (ج 1 ، ص 324) عن درويش فى الصعيد انه كان يرتدي : « سترة مؤلفة من الخرق الكثيرة المختلفة الالوان ـ وان هذا الدرويش بذاته مسخرة قائمة بذاتها . فسعة حزامه قدم وهو يعج بعدد كبير من الحلقات النحاسية » .

المدجاة

يفسر القاموس (ط كلكتا ، ص 233) هذه الكلمة بانها العمامة .

الدنية

الدنية ـ كما ترى المعاجم ـ هي طاقية القاضي ـ لان لها شكل الدن ـ اي شكل برميل كبير للخمر . ونقرا فى رسالة موجهة من قبل حمزة الى القاضي (لدي ساسي ، طرائف عربية ، ج 2 ص 92 من النص) ان حمزة امر ـ فى كثرة ما امر ـ بأن يلبس هذا الاخير دنية طويلة سوداء ـ لها عذبات صفر تتدلى على الصدر .

الدواج

انني اجهل حتى الآن ما اذا كانت هذه الكلمة تعني على العموم رداء او انها تعني ضربا خاصا من الاردية ويفسرها القاموس (ط. كلكتا ، ص 234) بانها (اللحاف الذي يلبس) .

راجع المقريزي (لدي كوزكارتن ، طرائف عربية ص 116) .

الدائرة

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

وهي على راي هوست (اخبار من مراكش ، ص 102 الذى يكتبها ديرة Déira تشير الى رداء ازرق يرتديه الخاطب فوق الحيك ، انني افترض ان هذه الكلمة هي الاسم المؤنث المشتق من فعل دار (ملابس تحيط الجسم
(Vestis) ambiens (corpus)

المداس

استعمل النويري (تاريخ مصر ، مخ 2 ص 21) فى عبارة له كلمة نعل وكلمة مداس بدون تمييز او تفريق . فنستخلص من ذلك ان كلمة مداس تشير الى الكلمة الفرنسية صندل Sandale ، كما تشير اليه كلمة نعل . والواقع ان النقيب ليون (اسفار فى الشمال الافريقي ، ص 156) يؤكد ان المعني بكلمة مداس هي الصنادل المزركشة الجميلة المنظر البارعة

الصنعة ، التى يلبسها الرجال والنساء على حد سواء » . وبوسعنا قراءة حكاية لاذة للغاية بخصوص المداس لدى م. ج. همبر فى كتابه (حوليات عربية لم يسبق نشرها ، ص 41 – 45) .
. Arabica Inedita (pag. 41-45) de M. J. Humbert

الـذيـل

تشير هذه الكلمة ، كما نعلم ، الى ذيل رداء او ذيل ثوب الخ . ولكنها تدل كذلك فى مالطة على : تنورة من النسيج الابيض . (راجع فاسيلي فى كتابه قويميس مالطي ، مجموعة 157) ويكتبها فيسكيه فى كتابه (رحلة الى الشرق ، ص 6) هكذا (ايديل l-deil) ويقول عن الذيل : « تنورة من التيل او القطن الابيض ، ترتديه القرويات فى جزيرة مالطة » .

الترجيـل

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس بمعنى مركوب .

وان النصوص التى نحن واجدوها فى كتاب الف ليلة وليلة (تجدون هذه الكلمة ، بهذا المعنى ثلاث مرات فى الصفحة 87 من الجزء الاول من طبعة مكناكتن) لا تدع مجالا للشك حول هذا المعنى لكلمة ترجيل . والحقيقة ان كلمة ترجيل فى الصفحة المذكورة مستعملة للدلالة على نفس ما تعنيه كلمة مركوب سوليه Soulier فتورنس اذن مصيب كل الاصابة حين يترجم فى كتابه (انس الليالي العربية ، ج 1 ، ص 114 الكلمة الى شوز Shoes وارجو ان يعذرني لين ، كما اومل ، اذا كنت لست مستحسنا ترجمته، حينما يترجم كلمة ترجيل بكلمة صندل Sandales (الف ليلة وليلة ، ج 1 ، ص 163) .

الرخايـة وجمعهـا الرخايـات

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

ويترجم بيدرو دي الكالا (مفردات اسبانية عربية) الكلمتين الاسبانيتين على هذه الشاكلة : Escarpins et peal عن (الاسكاربينات) الخفاف التى يسميها رياس Reyas كما يدعوها جاكسون فى كتابه (تقرير عن مراكش ، ص 138) عن الرياحات Bayahat او البانتوفلات الحمراء Pantoufles rouges انساء مراكش .

الرسـة ، الارسوسـة

يفسر القاموس (ط كلكتا ، ص 764) هاتين الكلمتين بكلمة قلنسوة . راجع هذه الكلمة .

الرسـيـة

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

واعتقد انها تشير الى نفس النوع من عمرة الراس المسمى رسة ، ومعنى ذلك القلنسوة ، انني ازعم عدا ذلك ان الكلمات رسة وارسوسة ورسية مشتقات من كلمة راس ، وفى العبرية روش : واقرر اخيرا لفظها رسية . وقد وصف الشاعر الصقلي ابن حمديس احد القصور ، لدى (النويري ، نهاية الارب ، مخ 273 ، ص 106) فقال : (الكامل) :

خلعت عليه غلائلا ورسية (شمس البيت) .

وترجمتها : « خلعت عليه الشمس تكريما له البسة ، وهي الغلائل (الملابس الصفراء) وجبته كذلك رسية » .

امام الشاعر هنا بريق الذهب ولالاؤه اللذان يسطع بهما هذا القصر ، وقد زادته اشعة الشمس توهجا على توهج . فيخيل الي اذن ان بوسعنا ان نستخلص من هذا البيت ان عمرة الراس المسماة رسية كانت ذات لون اصفر (1) .

الرصافيـة

يدور البحث فى عبارة لابن خلكان (ط دي سلان ، ج 1 ، ص 155) عن هذا النوع من العمرة ، وبعد هذا الكلام بقليل سميت سترة الراس هذه قلنسوة . وقد سبق للبارون دي سلان (راجع الترجمة الانجليزية لكتاب ابن خلكان ، ج 1 ، ص 115) ان لفت الانظار الى ان الرصافية كانت على هيئة طاقية ومن نوعها ، وهذه الهيئة لم نعد نعرفها اليوم على وجه الدقة والتحديد ، وانني اجهل ما اذا

(1) توهم المستشرق الكبير فحسب ان الواو فى كلمة ورسية هي حرف عطف فاخطأ . وبنى افتراضه على خطأ ، فوصل الى نتيجة خاطئة خطأ مركبا ! (المترجم) .

كانت الرصافية التى كانت تلبس فى بلاط بغداد هي من نوع العرقية Calotte والمسماة فى مصر (كلوتة) أم من نوع الطاقية Bonnet أم هي قلنسوة (1) .

الرطفل

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

اما فى الاندلس فيطلق اسم رطفل على نوع عصابة راس لها شكل الشبكة – وهي شبيهة بالشبكة التي تدعى بناقة .

راجع بيدرو دى الكالا فى كتابه (مفردات اسبانية عربية) حول هذه الكلمات :

« Alvanega de red y capillejo de muger »

ويرى هذا المؤلف ان جمع كلمة رطفل هو رطفلات وكذلك رطافل .

المرقعة

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس – بالمعنى المراد.

وهذه الكلمة تشير الى نوع دلق او خرقة وهي الثوب المرقع – الذي يستعمله الاولياء والفقراء الادعياء .

ويقول ابن بطوطة (الرحلة – مخ دى كابانكوس ، ص 102) فى معرض حديثه عن احد النساك : « لباسه مرقعة وقلنسوة لبد » . ويقول فى موضع آخر – متحدثا عن قديس او ولي من جبل لمعان : « وعلية مرقعة وقلنسوة لبد – وليس معه ركوة ولا ابريق ولا عكاز ولا نعل » . ونقرأ لدى ابن اياس (تاريخ مصر – مخ 397 – ص 133) : « فلما قرأ مراسيم السلطان اخذ على راسه المصحف وتشفع بانه ما بقى يلبس الولاية ولا وضع على راسه كلوته . وقد لبس مرقعة وصار من جملة الناس » . ونقرأ فى (رحلة ابن بطوطة – مخ – ص 89) : « وامره فى الكرم غريب . وربما جاد بكل ما عنده . وبالثياب التي عليه ويلبس مرقعة . فيدخل عليه كبراء المدينة . فيجدونه على تلك الحالة فيكسونه » .

هذا النوع من اللباس المرقع ترتديه النساء ايضا . فنحن قارئون فى كتاب الف ليلة وليلة (ط مكناكتن ج 2 – ص 238) : « ولبست مرقعة ووضعت على راسها ازارا عسليا». والحديث جار حول احدى العجائز .

المركوب وجمعه المراكيب

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

وهي تشير الى مداس – وتوجد احيانا فى كتاب الف ليلة وليلة . راجع مثلا (ط مكناكتن – ج 1 ، ص 86 – 87) وانظر كذلك (طها بيخت – ج 1 ، ص 319 – 220 – 222) . فنحن نقرأ فى وصف مصر (ج 18 – ص 110) : « هناك زوجان من المركوب او فردتان من المداس حمراوان » . ويؤكد لين فى كتابه (المصريون المحدثون – ج 1 ، ص 42) : « ان المراكيب تصنع من الجلد المراكشي الاحمر السميك – وهي مدببة وانوفها شامخة الى العلاء » . ويرد فى رحلة ستيفنس (حوادث رحلة الى مصر وسبطرا العربية والارض المقدسة – ص 225 ، ج 1) ذكر المراكيب الواسعة الحمراء – لاحد تجار القاهرة – التي يلبسها فوق المز الاصفر (Yellow slippers) .

وهذه الكلمة – حسبما اعلم – لا تستعمل الا فى مصر .

الرويزي

يرى القاموس ان الرويزي هو الطيلسان . راجع هذه الكلمة .

الريطة – الرائطة

نقرأ لدى الجوهري (ج 1 ، مخ 85 ، ص 507) ان الريطة هي : « الملاءة اذا كانت قطعة واحدة ولم تكن لفقين » .

وجاء فى القاموس (ط كلكتا – ص 941) : « الريطة كل ملاة غير ذات لفقين كلها نسيج واحد وقطعة واحدة او كل ثوب لين رقيق كالرائطة » . وكلمة ريطة لها المعنى نفسه فى شروح مقامات الحريري (المقامات – ص 255) : « الريطة الملاة اذا كانت قطعة واحدة » . قال الشريشي : « الريطة عند

(1) ام هي الجراوية البغدادية بمختصر العبارة ؟ (المترجم)